



تصدرها رابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة

من سمات

الأدب الإسلامي

بقلم :

د. مصطفى عبدالواحد

السنة الحادية عشرة - العدد ١٢٨ - شعبان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام
المرسلين المبعوث رحمة للعالمين . وبعد . . .

فهذه نظرات في ديوان الشعر العربي - تدل على أثر الإسلام في
الشعر . . في عصوره المختلفة . . وتدفع دعاوي المقتريين الذي يزعمون
ان الإسلام أضعف الشعر الذي تأثر به . . وان الشاعر لا يستطيع
الإبداع إلا إذا فارق الدين والجماعة !

● ولم يكن بالمستطاع - في هذا البحث الموجز - تعقب الأثر
الإسلامي في كل عصر ولدى كل شاعر . . وإنما هي أمثلة تدل على
ماوراءها . . وتلفت النظر إلى وجوب التحرر من هذه الأفكار السقيمة
التي تريد جعل الأدب وسيلة لإثارة الفوضى الفكرية وسلاحاً في أيدي
أعداء الإيمان !

● وأرجو أن ينهض النقاد والباحثون المسلمون لتأكيد هذه الحقيقة
وكشف جوانب الإبداع والتفرد الذي حققه شعراء كثيرون في ظلال
الإسلام . . وإن كان كثير منهم قد لقي الإغفال والإهمال . .

ولا ينبغي أن نترك المجال للذين يزعمون أن الأدب - والشعر
خاصة - هي للشيطان . . لا يقربه المؤمنون المتقون ولا يصيبون فيه
مكاناً !

إنه مجال من مجالات الجهاد لرفع راية الإيمان وتأكيد أثره في حياة
الإنسان . . . ومن الله سبحانه الهداية والتوفيق . . .

د. مصطفى عبدالواحد

الأستاذ بقسم الدراسات العليا العربية

بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

رمضان سنة ١٤١٢هـ

مارس سنة ١٩٩٢م

من سمات الأدب الإسلامي

حين نتحدث عن سمات الأدب الإسلامي فإننا نتجاوز الوقوف عند إثبات وجود ذلك الأدب والرد على شبهات من يارون في تأثير الإسلام في الأدب ويزعمون أن الأدب بطبيعته منفصل عن العقيدة والحقيقة والأخلاق . . ذلك لأن مجادلة هؤلاء عناء لا طائل تحته ، فإنهم يتجاهلون حقائق التاريخ وينكرون الواقع الملموس في تأثر الأديب بالبيئة ومايسودها من قيم وماتشتغل به من غايات . . ويحاولون تصوير الأدب على أنه غياب عن الواقع وحلم لا يقظة منه .

إن موقفهم من قضية الإسلام والشعر ، خاصة ، موقف بعيد عن الموضوعية والإنصاف . .

ونمثل لموقف هؤلاء بكلام على أحمد سعيد الملقب أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» فالله قد أبدع له المضمون (العقيدة الإسلامية) والتاريخ الهريق لغة وشعراً أبدع له الشكل ، فمن أين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ إن مهمته هي في أن يأخذ ما أعطى له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ» (١) .

ويزعم هذا الشاعر المجترى على العقيدة الإسلامية في شعره الفوضوي أن «النبوة حلت محل الشعر إلى مستوى الفاعلية الثانية ، صار

(١) صدمة الحداثة ص ٢٣٤ الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٢ .

أداة لخدمة الدين ينشره ويدافع عنه ويمجده ، وهذا يعني - كما يقول - أن الإسلام ألغى الشعر من حيث أنه مصدر للمعرفة ، أو من حيث أنه طريقة أصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته ، وأثبتته كأداة كلامية للدفاع عن الدين» (٢٨) .

• ويمضي أدونيس في مزاعمه التي يشوه فيها صورة الأدب الإسلامي الملتزم بحقائق الإسلام ، فيقول : «ليس الشاعر في الإسلام (ذاتاً) وإنما هو جزء في الجماعة الإسلامية ، فليس هو الذي يفكر بل الجماعة ، وليس هو الذي يكتب ، بل الشكل - اللغة والشعر جزء من عملية النشاط العام الذي تقوم به الجماعة» .

تلك مقدمات باطلة انتهى «أدونيس» منها إلى النتيجة التي أرادها ، والتي يقوم على أساسها اتجاهه وأشياعه إلى الدعوة إلى فصل الشعر العربي عن العقيدة ، بل وإغراء الشعراء بالهجوم عليها ومعاداتها إن أرادوا الإبداع والعبقرية ، استمع إليه إذ يقول :

«إن الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض إلا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة وبينه وبين «الجماعة» بالمعنى الديني من جهة ثانية ، أو حين بدأ الانفصال بتعبير آخر بين الذات والجماعة ، في محاولة من الشاعر لاستعادة ذاته «الضائعة» في «الجماعة» وفي «الدين» في هذا الانفصال أخذ الشاعر يدخل العالم «المحرم» ويرفض الأشكال والأفكار المسبقة ، وإذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث القديم فقد وصله بجمهور ناشئ جديد ، وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في نتاج أبي نواس وأبي تمام» (٣) .

(٣) المصدر السابق ٢٣٦ .

دعوة للإنفصال عن العقيدة !

هكذا يرى هؤلاء المخادعون ان الشاعر إذا أراد الإبداع وتحقيق ذاته فلا بد أن ينفصل عن العقيدة - وهذا مايعنيه أدونيس بإقامة المسافة بين الشاعر وبين الأيديولوجية الدينية - كما لابد له أيضاً في نظرهم من الإنفصال عن أمته أو الجماعة بالمعنى الديني بتعبير أدونيس - فذات الشاعر تضيق في نظر هذا الناقد الحدائي في الجماعة وفي الدين ، ومن هنا لابد له من الدخول إلى العالم «المحرم» حتى يؤكد انفصاله عن الدين ، ولابد له من رفض الأشكال التراثية حتى يؤكد انفصاله عن الجماعة !

ومن هذا الفهم الخاطئ المضلل ينطلق هؤلاء في عصرنا لتأكيد أن الحداثة والإبداع والخروج مما يسمونه «الماضوية» لا تتحقق إلا بالتححر من الدين والانفصال عن شعور الجماعة ، وكلام أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» يمثل موقف هؤلاء ويعبر عنه إذ يقول :

«والدين مايزال مهيمناً على الحياة المدنية بكاملها ، وعلى الحياة الثقافية والتشريعية والسياسية ، ومايزال الوعي الطبقي مطموساً بهذه الهيمنة الدينية على الأخص (المؤمنون جماعة واحدة ، أمة واحدة . . . الخ) ولذلك فإن الصراع الطبقي مايزال هو الآخر مطموساً» (٤) .

ويتتهي فيلسوف الحداثة وشاعرها إلى : «أن دور هذا الشاعر - العربي المبدع - هو في أن ينتج فعالية جمالية لا يستوحىها من المادة السائدة بقوة «الأيديولوجية» السائدة ، بل يستوحىها على العكس ، من الطاقة الكامنة المقموعة ، لكن القادرة على تغيير شروطها وإبداع شروط

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ .

وهكذا أوصد المعادون للدين والأمة الباب أمام الشاعر المسلم الملتزم بالعقيدة والحقيقة والأخلاق . . فهو في نظرهم لا يمكن أن يحقق الإبداع . . ولا أن يجد ذاته الضائعة كما يقولون في الدين وفي الجماعة . . فإن أراد العبقرية والتفرد فليس أمامه إلا أن يهاجم العقيدة وينفصل عنها . . ويصادم الجماعة ويعزل نفسه عن مشكلاتها وهمومها وقضاياها ، ويفجر الصراع الطبقي الذي يتحسر أدونيس على أنه ما يزال مطموساً بتأثير فكرة الأمة الواحدة التي جاء بها الإسلام !

لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي :

إن مناقشة هذه المزاعم ومقاومة هذه الأباطيل تحتاج إلى كتب ضخمة ، تثبت لهؤلاء أن الشاعر المسلم الملتزم قد استطاع الإبداع ، وقد وجد ذاته في العقيدة الإسلامية التي فسرت له الكون والحياة ، ووسعت نطاق وعيه بالإيمان بالغيب وربطت بين الدنيا والآخرة وفسرت له مغزى الحياة وخلصته من الشعور بالضيق والقلق والحسرة . . كما وجد ذاته في التعبير عن هموم أمته وآمالها . . والارتباط بتاريخها واستشعار الأخوة الإسلامية الجامعة التي تؤلف بين الأبيض والأحمر والعربي وغير العربي . . بل تجعله يستشعر الأخوة الإيمانية الجامعة بينه وبين المؤمنين في كل جيل وقبيل : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ . وليس السبيل إلى إثبات هذه الحقائق هو مجرد تقريرها ، بل لابد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي منذ فجر الإسلام حتى اليوم - لنجد روح الإسلام تسرى فيه ، ولنجد الارتباط بالعقيدة وبالأمة واضحاً حتى عند هؤلاء الذين يدعي المفكرون

أنهم خرجوا على العقيدة ورفضوا تراث الأمة !
ثم بعد ذلك النظر في آداب الشعوب الإسلامية من غير العرب ،
لنرى كيف أثر الإسلام في تلك الآداب أعمق الأثر ، وكيف استطاع
الأدباء المسلمون - الذين كتبوا بلغاتهم - الإبداع وتحقيق الذات بفضل
ارتباطهم بالإسلام وبالجماعة ، لا بسبب انفصالهم عنها ..

«اليوت» .. والدين !

إن هذا العمل الذي يضع الأمور في نصابها ، يكشف زيف
دعاوي المبطلين محتاج إلى جهد وخطوة علمية ينبغي أن تضطلع بها
الجامعات العربية والإسلامية ، للكشف عن إبداع الشعراء والكتاب في
ظلال الإسلام ، ولتنقض الزعم بأن الإبداع والشاعرية لا يتحققان إلا
بالبعد عن العقيدة والانفصال عن الجماعة ، كما يدعي هؤلاء المفكرون
وماذا يقول هؤلاء في تحول الشاعر الأمريكي الإنجليزي «ت . س .
اليوت» الذي كان من أتباع المدرسة الرمزية ، حين أعلن في النصف
الثاني من عمره «أنه أنجلو كاثوليكي دينياً ، وكلاسيكي أدبياً ..» وقد
انعكس هذا التحول على علاقته بالنظرية الرمزية (٦) .

«يقول تسدال : مثلما اقترب «اليوت» في قصائده الأخيرة من
المسيحية كان اقترابه من الرمزيين ، فلم يعد يتكئ بصفة أساسية على
الصورة الشعرية ، بل أصبح اهتمامه منصباً على إثارة الفكر والشعور عن
طريق الإيقاع والتقريرات الشعرية الموحية .. ولعل قصيدته «أربعاء
الرماد» من أغنى النماذج بخصائص هذه المرحلة ، وفيها يندمج آخر أثر
لما كان يحسه الشاعر من مرارة ، ببوادر شجن جديد تعبر عنه مواقف
غنائية ذات نبرات مسيحية واضحة :

(٦) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر للدكتور محمد فتوح أحمد ص ٩٧ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٨٤ م .

أيتها الأخت المباركة

أيتها الأم المقدسة

ياروح النافورة

ياروح الحديقة

لا تذرنا نخدع بالزيف أنفسنا (٧)

فهل يرى أدونيس وأشياعه أن اقتراب «اليوت» من المسيحية
وتعصبه لها . . وأن رجوعه إلى الكلاسيكية الأدبية قد أفقده إبداعه
وأضاع ذاته . . أم أنه يغتفر في المسيحية ما لا يغتفر في الإسلام ؟!

وهذا كاتب عن «اليوت» في ذكره المثوية التي حلت عام ١٩٨٩
يقول : «ويتحول - اليوت - إلى الكنيسة الإنجليزية وينادي بأنه
كلاسيكي في الأدب ، ملكي في السياسة ، أنجلو كاثوليكي في الدين ،
بل يصبح متعصباً للدين وضرورته في تطهير حياة الفرد وقيم المجتمع ،
ولكنه يصبح على رأس شعراء عصره وأكثرهم نفوذاً ، ويؤسس لنفسه
مكانة مرموقة في النقد والشعر على السواء» (٨) فهل اتباع الإسلام وحده
هو الذي يفضي بالشاعر إلى الضياع والتأخر . . ؟!

إنها مأساة فادحة أصابت نفراً منا ، يتكلمون بلساننا ، لكن
قلوبهم وعقولهم في أودية أخرى بعيدة عن أفق العروبة والإسلام .

شاهد منهم :

ولابد هنا من الإشارة إلى صحوة الضمير عند بعض النقاد
الأوروبيين ، الذي سئموا من تردد الدعاوي التي تباعد بين الأدب

(٧) المرجع السابق ص ٩٨ .

(٨) الدكتور على شلش : اليوت في ذكره المثوية . مجلة العربي عدد يناير ١٩٨٩ م .

والعقيدة والحقيقة والأخلاق ، ومن هؤلاء الناقد المعاصر «تزفيتان تودوروف» الفرنسي الجنسية الذي تلقى ثقافته في بلغاريا ثم رحل إلى باريس حيث استكملها وتأثر باتجاهات النقد البنيوي الأسلوب . .
هذا الناقد قال بعض الحقيقة في لمحات من كتابه : «نقد النقد» واستمع إليه إذ يقول :

«فمنذ مائتي عام ردّد علينا الرومانتيكيون وورثتهم الذين لا يحصون ، كل منهم بشكل أفضل من الآخر أن الأدب لغة تجمّد غايتها في ذاتها ، حان الوقت للرجوع إلى البداهيات التي من المفترض عدم نسيانها : للأدب علاقة بالوجود الإنساني ، إنه - تَبّاً لأولئك الذين يخشون الكلمات الكبيرة - خطاب موجه نحو الحقيقة والأخلاق . . كان سارتر يقول : «إن الأدب هو كشف للإنسان والعالم» . وكان على حق ، ولن يكون الأدب شيئاً إذا لم يتح لنا أن نفهم الحياة بصورة أفضل» (٩) .

هكذا رجع «تودوروف» إلى الحقيقة بعد طول تشتت وغربة وضياح ، وهكذا أدرك ضرورة توثيق العلاقة بين الأدب والوجود الإنساني ، وضرورة اتجاهه نحو الحقيقة والأخلاق . ويتضح هذا من قوله :

«أدب وأخلاق : سيصبح معاصري : أي فظاعة ! وأنا بالذات كنت أعتقد مع اكتشافاتي حولي لأدب مرهون للسياسة أنه يجب قطع أي صلة للأدب بكل ماعداه وصونه منه ، إلا أن العلاقة بالقيم هي من صميم الأدب ، ليس لأنه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع إليها وحسب ، وإنما أيضاً لأن فعل الكتابة هو فعل اتصال ، مما يتضمن إمكان التفاهم باسم القيم المشتركة (١٠) .

(٩) نقد النقد لتودوروف ص ١٤٩ ترجمة سامي سويدان الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م بيروت مركز الإنماء القومي .

(١٠) الوساطة ص ٦٤ تحقيق أبي الفضل والبجاوي .

وهو الذي يقول : «يمكن لنقائض الناقد النبوي أن تعرض
بمكتسبات الاختصاصي بالأيدولوجيات . . فلا يكتفي «بإذا قال»
وإنها يستكمل بـ «هل هو على حق؟» (١١) .

هذه آخر صيحة لدى النقد الجديد ، الذي مازال نفر من أدبائنا
ييشرون به ويهتفون باسمه لكنهم يكاثمون ، فيرددون المقولات القديمة ،
ويخفون ما فيه انتصار للعقيدة والحقيقة والأخلاق . . يزعمون لنا أن غاية
الشعر هي الشعر . . وأن غاية اللغة هي اللغة . . ويخفوننا من الاتصال
بالعقيدة أو الإلتناء إلى التراث . . حتى لا نقطع عن الركب ولا نقع في
مهاوي التخلف . .

ولكن آيات الله تظهر في الآفاق . . والعقلاء من شتى الأجناس
والأديان يراجعون أنفسهم ، ويكفون عن العبث الذي لا طائل تحته . .
وعن الخراب الروحي والجفاف الوجداني الذي يؤدي إليه الأدب
الفوضوي المتوحش المنطلق بلا غاية ولا هدف . .

أرى أن هذه المقدمة قد طالت . . لكنها ليست استطراداً بعيداً عن
الموضوع ، بل هي حجر الأساس في القضية التي نحن بصدددها ، إذ أننا
بإزاء محاربين غير شرفاء ، يؤولون متعسفين . . ويكتمون الحق وهم
يعلمون ، ويستوردون لنا نفايات الأفكار وشواذ الآراء ويعظمونها غاية
التعظيم ، بينما يزرون بآراء السابقين والمعاصرين مادامت لا تصدر من
منطلق التبعية والإنقياد . . ويفرحون بالنقاط كلمات عابرة يؤسسون
عليها دعاوي ضخمة . . ككلمة القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين
المتنبي وخصومه التي قال فيها : «والدين بمعزل عن الشعر» (١١) .

الرجائي بريء !

لقد فرح بها بعض هؤلاء الذين يرون الحداثة في المباحدة بين الشاعر وبين الدين وبينه وبين الأمة . . واقتطعوها من سياقها ، ونسوا أن الجرجاني بصدد الدفاع عن المتنبي وإنصافه ممن تجنوا عليه ، ومن حاولوا تأخير رتبته في الشعر بسبب بعض الأخطاء العقيدية في ديوانه . . مع أن هؤلاء يحتملون لسواه من الشعراء ما لا يحتملون له ولهذا قال :

«والعجب ممن يتقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب كقوله . . وهو يحتمل لأبي نواس قوله . . »

فلم يقصد الجرجاني إلى جواز خروج الشاعر عن العقيدة ولم يسوِّغ له ذلك ، ولم يحاول الفصل بين الإسلام والشعر ، بل كان بصدد موازنة في أمر القدرة الفنية لأبي الطيب المتنبي .

وقد ناقش مقولة الجرجاني هذه بعض النقاد الإسلاميين المعاصرين كالدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» وذلك إذ يقول «وإذا تجاوزنا ما عرف عن الجرجاني أنه قاض ورع ملتزم بالإسلام ونظرنا إلى العبارات مجردة عن سياقها لكان لنا أن نناقش الجرجاني ونرد قوله بسهولة ، ذلك أن قياس المتنبي وأبي نواس على الشعراء الجاهليين لا يصح إطلاقاً ، ومن غير المقبول أن أطالب الجاهليين بمقاييس إسلامية ولا أنكر على هؤلاء أن يأتوا بما يخالف عقيدتي .

ولكنني أنكر على المتنبي وأبي نواس أن يصدمني أحدهما أو كلاهما في شعوري الديني . وقياس المتنبي على أبي نواس كما يقول الدكتور إحسان عباس غير مقنع ، لأن ما يصدم المشاعر الدينية أو الوطنية أو

العقدية إجمالاً ليس من قبيل الخطأ في الاستعارة أو الإفراط في الشعر، إذ الأول يتطلب من الناقد جهداً بالغاً للفصل بين مجالين والثاني يتطلب منه لباقة في التوجيه والتفسير ، وقل في الناس من يستطيع أن يتجرد من علاقته المبدئية لياشر الحكم من زاوية فنية خالصة ، فالصدمة في هذا المجال لا تعالج بالمقايسة» (١٢) .

ومما يدل على مقصد القاضي الجرجاني من كلمته تلك أنه يقول بعدها بصفحات كثيرة بعد استعراض مواقف النقاد من الشعراء :
«ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الإحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسوية ، وإنما نقول :

«إنه عيب مشترك وذنب مقسم ، فإن احتمل فللكل ، وإن رد فعلى الجميع ، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء ، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين» (١٣) وكما قال الدكتور عبدالباسط بدر :

«فالجرجاني لا يدافع عن مضمون الأبيات ولا يعتذر عما ورد فيها من معان ، وإنما يمر إلى القضية التي تشغله ، قضية الإقرار بشاعرية المتنبي ، ولا شك أن الاعتراف بالقدرة الشعرية شيء وقبول القصيدة شيء آخر ، فالحالة الأولى فنية محضة ، والثانية تقويم متكامل تدخل فيه الأدوات الفنية ودلالات القصيدة في وقت واحد ، فلا يمكن أن نقول عن قصيدة هجى بها المسلمين أنها ليست شعراً ، أو أن صورها ليست مصوغة بدقة وبراعة ، ولكن لا شيء يحملنا على قبولها أو الإعجاب بها» (١٤) .

(١٢) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي للدكتور عبدالباسط بدر ص ١٣٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ دار المنارة جدة ، وانظر تاريخ النقد للدكتور احسان عباس ٣١٩ .

(١٣) الوساطة ص ٤٢٨ .

(١٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص ١٤٠ .

ولو كان الدين حقاً بمعزل عن الشعر ، لما جاء في محكم القرآن الحكم على الشعر ، والتفريق بين ما كان منه ملتزماً بالعقيدة معبراً عن الأخلاق الكريمة ، وما كان وسيلة لتزيين الشرور وإثارة الشهوات وانتهاك الحرمات . قال الحق تبارك وتعالى :

﴿والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون * ألم ترأنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيَّ متقلب ينقلبون﴾ (١٥) .

للإسلام رأيه في الشعر :

فهذا دليل لا ينقض على ان للإسلام رأيه في الشعر وموقفه منه ، وأنه يحكم على الشعر بمضمونه وهدفه ، وأنه لا يترك الشعراء على أهوائهم يعبثون بالكلمة ويهيمون في الأودية ، ويجعلون القول بمعزل عن العمل ، ولهذا مدح الكتاب الكريم الشعراء :

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾

لأن ثمرة الإيمان والصلاح والذكر والدفاع عن الحق ، لا بد أن تكون كلمات نافعة صادقة داعية إلى الخير ، مصورة لكل ما هو جميل في الكون والنفس والحياة . .

وكذلك كان الموقف النبوي الكريم من الشعر ملتزماً بهذا المنهج ناظراً إلى هذا الفن بهذا المنظار ، فقد استمع النبي ﷺ إلى شعر الحكمة وتمثل به . فقد روي الترمذي في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد عن

(١٥) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

المقدام بن شريح عن أبيه قال :
قلت لعائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من
الشعر ؟ فقالت :

« كان يتمثل بشيء من شعر عبد الله بن رواحة ويتمثل ويقول :
ويأتيك بالأخبار من لم تزود » (١٦) .

واستمع ﷺ إلى شعر أمية بن أبي الصلت ، كما روى مسلم في
صحيحه عن عمرو بن الشريد عن الشريد قال : استشهدني النبي ﷺ
شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته فأخذ النبي ﷺ يقول . هيه هيه .
حتى أنشدته مائة قافية فقال : « إن كاد ليسلم » (١٧) .
وقد قال ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب « إن
من الشعر حكمة » .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
ﷺ قال :
« أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله
باطل » .

وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً :

« أصدق بيت قاله الشعراء » (١٨) .

فالصدق قيمة من القيم الإسلامية التي يوزن بها الشعر ومعيار من
معايير نقده .

والحكم الإسلامي على الشعر في عمومه يرجع إلى تلك المقولة
المأثورة عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، والتي رواها البخاري في

(١٦) الأدب المفرد للبخاري حديث رقم ٨٦٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . وستن الترمذي كتاب
الأدب .

(١٧) صحيح مسلم كتاب الشعر حديث ١ ، باب ما جاء في إنشاد الشعر .

(١٨) صحيح مسلم كتاب الشعر ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ (ط عيسى الحلبي)

الأدب المفرد . فعن خالد ابن كيسان قال : كنت عند ابن عمر فوقف ابن خيثمة فقال : ألا أنشدك من شعري يا ابن الفاروق؟
قال : بلى ولكن لا تنشدني إلا حسناً .

فأنشده حتى بلغ شيئاً كرهه ابن عمر قال له : أمسك (١٩) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول :

الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ بالحسن ودع القبيح ، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك (٢٠) .

وقد روي في ذلك المعنى حديث مرفوع - لكنه ليس في شيء من الكتب الستة - بل انفرد به البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام » (٢١) .

وأصل ذلك كله في الكتاب الكريم في قول الحق سبحانه :

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً ﴾ (٢٢) .

فالمسلم الحق شاعراً كان أو غير شاعر لا يجهر بالسوء من القول ، ولا ينجح بالكلمة إلى الشر والعدوان ، وهو على وعي بمغزى المثل الذي ضربه الحق سبحانه للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، والفارق بينهما بعيد جداً ، مع أن كلا منهما مكون من حروف وأصوات ومقاطع ، لكن الذي يجعل هذه طيبة وتلك خبيثة ما وراء الكلمة من اعتقاد وما ترمي إليه من هدف .

(١٩) الأدب المفرد البخاري حديث رقم ٨٥٦ . (٢٠) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٦ .

(٢١) الأدب المفرد حديث رقم ٨٦٥ . (٢٢) سورة النساء ١٤٧ .

لا استثناء للشعر :

فكيف يزعم الزاعمون ان الشعر مستثنى من الحكم الإسلامي على الكلمة ، وان الشاعر يمكن أن ينال المجد في مجاله الشعري مع كفره أو فسقه أو عدوانه ، بحجة ان المسلمين مازالوا يرددون الشعر الجاهلي وهو نتاج كفره مشركين ، وشعر الزنادقة والمجّان والخلفاء في العصر العباسي ولا يخرجونهم من ديوان الشعراء !

إن في هذا القول خلطاً ومغالطة لا بد من الاحتراز عنها ، فنحن نروي الشعر الجاهلي استشهداً على اللغة ، لا إعجاباً بمضمون ولا رضا عما يحويه من عقائد فاسدة أو مسالك مردية .

وفي هذا الشعر الجاهلي ما يتضمن حكماً وتجارب صادقة ، مما تهدي إليه الفطرة ويستحسنه العقل ولا يعارض التوجيه الإسلامي ولا يناقض نظرة الإسلام إلى الحياة ، كهذا البيت الذي شهد له النبي ﷺ فيما صح عنه أنه أصدق كلمة قالها شاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

وبيت طرفه بن العبد الذي تمثل النبي ﷺ بشرط منه :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ولهذا قال ﷺ «إن من الشعر حكمة» ولم يقل إن الشعر حكمة ،

لأن الشعر كله ليس من هذا النمط الصادر عن روية وتفكير المعبر عن خبرة وتجربة .

السمة الأولى للأدب الإسلامي :

ومن هنا فإن السمة الأولى التي يتميز بها الأدب الإسلامي بداهة

هي التزامه بعقيدة الإسلام ورؤيته للكون من خلال منظار الإسلام .

فالأديب المسلم حقاً هو الذي يحدد صلاته بالكون والحياة بحدود الإسلام ، فينظر إلى الكون نظرة إيمانية ترى فيه صنعة صانع مبدع حكيم ، فيقرأ آيات القدرة في كل ما تقع عليه عيناه ، ويستجلى دلائل الوجدانية في كل ما يصوره ، ويفسر الظواهر والأحداث بمقتضى العقيدة التي اطمأن إليها قلبه . .

وهو يتعامل مع الحياة والأحياء بهذا المقياس . . ولا تخرجه عنه رهبة ولا رغبة . .

غير أن هذا الالتزام بالعقيدة والحقيقة والأخلاق الإسلامية لا يجعل الأدباء المسلمين نمطاً واحداً في التعبير والتصوير ، ولا يجعل عملهم مجرد النسخ ، كما زعم «أدونيس» ومن على شاكلته ممن يكرهون ارتباط الأدب بعقيدة الإسلام ، ويرون في ذلك الارتباط قضاء على الأدب وموتاً لوجدان الشاعر . .

إن هذا زعم مغرض بعيد عن الحقيقة التاريخية والواقعية . . ولو كان هذا الزعم صحيحاً لكفى الإسلام شاعراً واحداً . . أو كاتب واحد . . مادام عمل الأديب المسلم كما يزعم هؤلاء أن يأخذ ما أعطي وإن ينسخ ويصوغ . . إن الحقيقة واحدة . . ولكن التعبير عنها يخرج من خلال تصور الشاعر أو الكاتب ورؤيته لتلك الحقيقة . .

وليس ذلك في أمر العقيدة فحسب . . بل إنه يسري في صلة الأديب عامة والشاعر خاصة بالكون والحياة . .

ولنأخذ مثلاً الوصف . . فالطبيعة التي يصورها الشاعر واحدة . . كالحظة الشروق أو الغروب وجمال الزهر وأمواج البحر . . فهل يجيء تعبير الشعراء عن انفعالهم بهذه الطبيعة على نمط واحد؟!

وكذلك نظرهم إلى المرأة ، وهو الموضوع الشائع المتبدل في كل

الآداب وكل العصور . . فهل يغني قول واحد منهم في هذا الموضوع عن قول الآخرين . .

زعم باطل :

إن الزعم بأن التزام الأديب المسلم بعقيدة الإسلام يحول بينه وبين الابداع ، وببِهِ مضموناً لا يحيد عنه . . هو زعم باطل لا حجة له . . وإلا فلننظر إلى بداية صلة الشعر العربي بالإسلام في عصر النبوة ، ونشأة الغرض الإسلامي في ذلك الشعر . . فهل نجد شعراء الصحابة نمطاً واحداً . . مع أن الغرض واحد . . والروح التي سرت في ذلك الشعر روح واحدة ؟

إن شعر عبدالله بن رواحة . . يتميز عن شعر حسان بن ثابت . . وحسان يتميز عن كعب بن مالك . . وإن كانت تلك الفترة لا تصلح مقياساً لتبين الأثر الذي أحدثه الإسلام في الشعر . . فقد كان لابد أن تمضي فترة تتيح للشاعر عمق النظرة ، وتغزله عن المأثور من المعاني والصور الجاهلية ، وتمكنه من التأثر بالمعاني والأساليب القرآنية وبجوامع الكلم التي أوتيها محمد ﷺ .

مثالان للمخضرمين :

ولن نسوق شواهد من أشعار هؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ لشهرتها ، لكنني سأضرب المثل لإبداع الشاعر المسلم الملتزم ، في بداية صلة الإسلام بالشعر بشاعرين مخضرمين ، عاشا في الجاهلية وادركا الإسلام ، وأسما ، أولهما «حميد بن ثور الهلالي ، وثانيهما «العجاج بن ربيعة» .

١- أما حميد بن ثور الهلالي :

فقد أدرك زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفي على الأرجح - في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويعد من فحول الشعراء المجيدين .

قال عنه الأصمعي :

العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل النميري ، وتميم بن مقبل ، وابن أحرر الباهلي ، وحميد الهلالي (٢٣) .

ولاشك أنه أسلم فحسن إسلامه ، وهو معدود من الصحابة ، وقد ترجمت له الكتب المؤلفة في الصحابة كأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب .

قال ابن الأثير في ترجمته :

«شهد حينئذ مع الكفار ، ثم أسلم ، قدم على النبي - ﷺ - وأنشده قصيدة مطلعها :

أضحى فؤادي من سليمى مقصداً

إن خطأ منها ، وإن تعمداً

وفي آخرها :

حتى أرانا ربنا محمداً يتلو من الله كتاباً مرشداً

فلم نكذب ، وخررنا سُجّداً نعطي الزكاة ، ونقيم المسجدا

وروى الزبير بن بكار :

(٢٣) مقدمة ديوانه تحقيق عبدالعزيز الميمني ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .

ان حميداً قدم على النبي - ﷺ - وأنشده :

فلا يبعد الله الشباب وقولنا

إذا ما صبونا صبوةً ستتوب

ليالي أبصار الغواني ، وسمعها

وليلئ ، وإذ ريحُ لهن جنوبُ

وإذ ما يقول الناس شيءٌ مُعَوَّلٌ

علينا ، وإذ غُصنُ الشباب رطيب (٢٤)

فمن الواضح ، أنه حين أسلم كان ما يزال متأثراً بترعة الشاعر
الجاهلي ، ونظرتة إلى الحياة ، وقد أقلع بعد الإسلام عن هذا النمط ،
وخاصة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي حظر على
الشعراء التشييب بالنساء .

ولكن حميداً كان يرى غزله عفيفاً ، فكيف يؤخذ عليه ؟ !

ولهذا قال :

فهل أنا إن علَّت نفسي بسرحة

من السَّرح مسدودٌ علىَّ طريقُ

والسرحة أصلها شجرة من العظام لا شوك لها ، والعرب تكني بها

عن المرأة . وجاء في ديوانه :

لما حظر عمر رضي الله عنه ، أو غيره من الخلفاء ذكر النساء قال

حميد :

تجرم أهلها لأن كنت مشعراً

جنوناً بها ، ياطول هذا التجرُّمُ

ومالي من ذنب إليهم علمته

سوى أنني قد قلت : يا سرحة اسلمي

(٢٤) أسد الغابة ٢ / ٥٤ . طبعة مصورة بدار احياء التراث العربي - بيروت .

بلى فاسلمي ، ثم اسلمي ، ثم اسلمي

ثلاث تحيات وإن لم تكلمي (٢٥)

المهم أن التزام حميد بن ثور بعد إسلامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه ، لم يجعله صورة من حسان بن ثابت ، أو عبدالله بن رواحة ، بل ظهر هذا الالتزام في نطاق ذاتيته الإبداعية ، بل وفي الموضوعات العاطفية ، التي قد يظن أنها مجال للانحراف عن قيم الإسلام ، ففي قصيدته الميمية التي قاربت مائة وعشرين بيتاً ، والتي قالها في أواخر عمره ما يدل على التزامه بعقيدة الإسلام وأخلاقه دون أن يفقد رؤيته الشاعرية ، وحرية الفنية .

وقد بدأها بالنسيب العفيف الذي لا حرج فيه إذ يقول :

سَلِ الرَّبْعَ أَنِي يَمُمْتُ أُمُّ سَالِمٍ

وهل عادة للربيع أن يتكلما؟

وقولا لها يا حبذا أنت هل بدا لها

أو أرادت بعدنا أن تأيما (٢٦)

ومما يدل على أن هذه القصيدة من أواخر شعره بعد أن أدرك الإسلام قوله فيها :

أرى بصري قد رايتني بعد جدّة

وحسبك داء أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يوماً ، وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيمّا

ومع أن موضوع القصيدة عاطفي يتسم بالعفاف ويخلو من كلمة فحش أو جهر بسوء فقد ظهرت فيه سمات الاعتقاد الإسلامي ، والتوجيه

(٢٦) ديوانه ص ٧ .

(٢٥) ديوانه ص ١٣٣ .

الخلقى للإسلام فلنستمع إليه يقول مخاطباً صاحبيه :
 خليلي إني مُشتكِ ما أصابني
 لتستيقنا ما قد لقيتُ ، وتعلّما
 أُمليكما ان الأمانة مَنْ يَخُونُ
 بها يحتمل يوماً من الله مأثماً
 فلا تُفشيأ سرّاً ، ولا تُخذلاً أخاً
 أبشكما منه الحديثَ المكتوماً
 وفيها يقول أيضاً :

فما منكم إلا رأيناه دانيا
 إلينا بحمد الله في العين مسلماً
 ويرجع الصاحبان إلى الشاعر ، ولم يبلغا رسالته الشفهية العفيفة
 التي بينها بقوله :

وقولا لها ما تأمرين بصاحب
 لنا قد تركت القلب منه متيماً
 أبيني لنا ، إنا رحلنا مطيئنا
 إليك وما نرجوه إلا تلوئماً
 أي لا نطمع في بقاءه حياً إلا يسيراً .
 فجاء ، ولما يقضيالي حاجة
 لي ولما يبرما الأمر مبرماً
 ألم تعلمنا أني مصاب فتذكراً
 بلاني إذا ما جُزف قوم تهدماً

وحسبنا في هذه القصيدة الطويلة ، روعتها الفنية ، وبراءتها من
 سمات الجاهلية الغليظة في النظرة إلى المرأة والتفحش في الغزل ، فهذا

هوى عذري عفيف ، لا يفسد الخلق ولا يثير الغرائز ، وماظهر فيها من
رقة إحساس ، وتعاطف مع مشاعر الطير في أبياته التي بدأها بقوله :
وماهاج هذا الشوق إلا حمامة

دعت ساق حرّ، وترنّما
فأوفت على غصن ضحياً فلم تدغ
لباكية في شجوها متلوّما
مطوّقة خطباء تصدح كلما
دنا الصيفُ ، وانجال الربيع فأنجما
عجبت لها أنى يكون غناؤها
فصيحاً ولم تغفر بمنطقة فما
فلم أر محزوناً له مثل صوتها
ولا عربياً شاقه صوتُ أعجمها
كمثلي إذا اغنت ، ولكن صوتها
له عولة لو يفهم العودُ أرزما
أي لو فهمه البعير لحنّ .

أول قصيدة في الشعر العربي ترسم صورة لنفسية الحيوان!

إن هذه نغمة جديدة على الأدب العربي ، تأثر فيها الشعراء
المسلمون بالرحمة التي يوجه إليها الإسلام تجاه الكائنات الحية كقوله
تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم
أمثالكم ﴾ (سورة الأنعام ٣٨) .

فهو يشبه غناء الحمامة بغنائه ، ويجعل لغتها ، وإن كانت أعجمية

مفهومة لديه ، وهذا هو مجال الإبداع أمام الشاعر المسلم ، حين يتأمل الكون ، ويتعاطف مع الكائنات بما أمده الإسلام من روح إنسانية ، تقدر وترى فيها مجالي للتعرف على آيات الله ، وهذا ما يفسر لنا أن حميد بن ثور الهلالي هو نفسه صاحب أول قصيدة في الأدب العربي فيها محاولة للإقتراب من حيوان وحشي ورسم صورة نفسية له ، والتعرف على أبعاد حياته تخالف ما جرى عليه الشعر الجاهلي في تصويره لأوابد الحيوان .
تلك هي قصيدته في وصف الذئب التي ذهب بعض أبياتها مثلاً
كقوله :

ينام بإحدى مقتلتيه ويتقي

بأخرى المنايا فهو يقظان هاجس

وكأنها يعذر حميد بن ثور الذئب ويرى له حقاً في الحصول على الطعام ، ويعجب لصبره ، وحيلته إذ يقول :

هو البعل (٢٦) الداني من الناس كالذي

له صحبة ، وهو العدو المنازع

ترى طرفيه يعسلان كلاهما

كما اهتز عود الساسم المتتابع

إذا خاف جوراً من عدو رمت به

غالبه ، والجانب المتواضع

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق بها

ذرعاً ، ولم يصبح لها ، وهو خاضع

وإن حذرت أرض عليه فإنه

بغرة أخرى طيب النفس قانع

(٢٦) البعل : البرم بأمره أو الخائف الذي لا يدري ما يفعل والعقيدة في ديوان ص ١٠٣ .

إذا نال من بهم البخيلة غرة
على غفلة مما يرى ، وهو طالع
تلوم ولو كان ابنها فرحت به
إذا هبَّ أرواح الشتاء الزعازعُ
إذا ما غدا يوماً رأيت غيابة

من الطير ينظرون الذي هو صانعُ
لقد نقل حميد فعل الذئب إلى مجال فعل الإنسان ، فهو صاحب
لهم على الرغم أنه عدو منازع ، لأن رزقه يرتبط بما لديهم من بهم ، وهو
يصبر على الجوع ، ولا يذل له .

وهذه راعية تلوم الذئب أن نال من بهما غرة وعدا على احداها
وتنسى انه لو كان ابنها في مقام الذئب لفرحت به .

أي لو استطاع ابنها تحصيل رزقه بمثل هذه المبادرة من الذئب
لأعجبت به أيما اعجاب !

وتلك روح جديدة في الأدب العربي اكتسبها من النظرة الإسلامية
للوجود . قوله تعالى :

﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها كُلٌّ في كتاب مبين ﴾ (سورة هود ٦٤) .

ومن هنا فإن حميد بن ثور قد رأى في عمل الذئب في اقتناص
الفريسة رزقاً لنوع آخر من المخلوقات هي جوارح الطير ، التي تنتظر ما
يخلفه الذئب من الفريسة بعد شبعه منها ، فيقول :

إذا ما غدا يوماً رأيت غيابة
من الطير ينظرون الذي هو صانعُ

وهكذا يتضح أن تأثر الشاعر بالعقيدة الإسلامية لا يعني أنه يردد التساييح والمواظ، بل إنه ينظر إلى الوجود نظراً فسيحاً بالنور الذي اقتبسه من تلك العقيدة .

ذو الرمة .. ومشاعر الظبية!

وإذا كان لنا ان نستطرد في هذا الموضوع لنذكر السمة الإنسانية التي صنعها الإسلام في نفوس شعرائه تجاه التأمل في الحيوان باعتباره كائناً مستحقاً للعطف، والرفق والرحمة . .

فإننا نكتفي بالإشارة إلى تميز الشاعر الأموي «ذي الرمة» في لوحاته التي صور فيها مشاهد من حياة حيوان الصحراء سكب فيها أرق العواطف وأحناها حتى ليفهم أحاسيس الحيوان، ويصغى لمشاعره خارجاً بذلك عن نطاق المنفعة والرغبة في وصف الحيوان - وهو موقف الشاعر الجاهلي - إلى مجال الاحساس بالجمال وتأمل آيات القدرة في مشاهد الطبيعة الحية .

لنستمع إليه إذ يصور حنان الظبية على ولدها، فيقول :

إذا استودعته ، صفصفاً أو صريمة

تنحت ، ونصت جيدها للمناظر (٢٧)

حذارا على وسانا يصرعه الكرى

بكل مقيل من ضفاف فواتر

وتهجره إلا اختلاسا بطرفها

وكم من محب رهبة العين هاجر

حذار المنايا رهبة أن يفتنها

به وهي إلا ذاك أضعف ناصر

(٢٧) الصفصاف : الفلاة لا نبات فيها والصريمة : القطعة من الرمل ، ونصت جيدها : رفعت .
والآليات في ديوانه ص ٢٨٦ (ط أوربا) .

فقد جعلنا ذو الرمة نحس بما يساور الظبية من قلق على ولدها ،
وشفق عليه من المنايا ، وتنصور المفارقة بين حبها له وحنانها عليه ، وبين
اضطرابها لهجره حتى لا تدل عليه السَّبَّاع ، فهي موزعة العاطفة ممزقة
الشعور ، فنثرى لها ونتعاطف نحوها . .

وتلك نغمة جديدة في تصوير الحيوان ، تعبر عن نظرة جديدة إلى
الحيوان طرأت على الشعر العربي ، بعيدة عن المشاعر الغليظة الجافية
التي لم تكن ترى في الحيوان إلا أداة لهو أو مصدر متعة . .

ارتقاء بالمشاعر نحو الحيوان :

أما الشاعر المسلم فقد تأثر بما أفاضه عليه دينه من رحمة يرحم بها
كل ذي كبد رطبة ، فارتقى بمشاعره نحو الحيوان إلى درجة سامية من
الشفافية والنقاء . .

ولا شك ان الإسلام بمبادئه وعواطفه كان سبباً في هذا التحول ،
فالرحمة عاطفة يفيض بها قلب المسلم ويتجه بها إلى كل ما حوله . .
وفي الأحاديث النبوية تصوير لما ينبغي للمسلم من رحمة بالحيوان ،
كما في الحديث الذي أخرجه ابوداود في سننه عن عبدالرحمن بن عبدالله بن
مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال :

«كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حمرة - وهي طائر يشبه
العصفور معها فرخان لها فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرّس - أي تحوم
حولهم - فلما جاء رسول الله ﷺ قال : «مَنْ فَجَعَ هذه بولدها؟! ردوا
ولدها إليها» ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : «من أحرق هذه» قلنا :
نحن يا رسول الله . قال : «إنه لا ينبغي أن يعذّب بالنار إلا رب النار» (٢٨)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لاهي أطعمتها وسقتها حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (٢٩) .

وفي حديث الرجل الذي سقى الكلب فغفر الله له - وهو في الصحيح - سأل الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا :

«إن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال : «في كل كبد رطبة أجر» . وهذا في البهائم المحترمة غير المؤذية .

ونؤكد هنا أن مثل هذا التصوير المقعم بالرقعة لمشاعر الحيوان . . يعد من الأدب الإسلامي لا محالة ، إذ لا مصدر له إلا الروح الجديدة التي استقاها الشاعر العربي من إيمانه بعقائد الإسلام وتأثره بتوجيهه في الحياة . .

وفي هذا أبلغ الرد على شبهة ذلك الذي ادعى أن طريق الإبداع أمام الشاعر المسلم الملتزم مسدود وأنه مجرد ناسخ يأخذ ما يعطي ويكرر ما لقن !

وإن تأمل الأثر الإسلامي في تناول موضوع الحيوان وحده ، ليجتاح إلى تتبع واستقصاء خلال العصور ، ليتضح لنا بعد ذلك مدى الإبداع الذي حققه الشعراء المسلمون في تناولهم لهذا الموضوع ذي النصدى في الآداب القديمة والحديثة . .

أبيات من الحكمة لحميد :

ونعود إلى شاعرنا المخضرم حميد بن ثور لنجد له قطعاً من أبيات

(٢٩) صحيح مسلم ٢/٢٩٨ (ط عيسى الحلبي) .

الحكمة تنضح فيها النظرة الإسلامية إلى الكون والحياة ، مع مافيها من
تصوير رائع وألفاظ موحية بالمعاني العديد الواسعة كقوله :

وكائن لقينا من نعيم ولذة
وأعجبنا المصطافُ والمترعُ

وقلنا لعل الماء يربو فنقتري
وعَلَّ غلاماً ناشئاً يترعُ

أمايَّ عامٍ بعدَ عامٍ تعلَّثُ
بأمثالها بالناس عادٌ وتبعُ

ولكنها الدنيا غرور ولا ترى
لها لذة إلا تبيد وتزعُ

فلله ما فوق السماء وتحتها
له المال يعطي من يشاء ويمنع

ونستطيع أن نرد معاني هذه الأبيات الحكيمة إلى أصولها الإسلامية
من الكتاب والسنة ، فغرور الحياة الدنيا للناس معنى من المعاني القرآنية
كقوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (٣١) .

وقوله سبحانه : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور ﴾ (٣٢) .

ولكن الشاعر لم يقتبس الجملة القرآنية بنصها . . لكنه تأمل الحياة
والتاريخ على ضوءها . . فصور لنا ما لقيه من نعيم ولذة . . وما أعجبه
في منزله أيام الصيف ومنزله أيام الربيع . . وصور لنا أمنياته في الثراء

(٣١) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥ .

(٣٢) سورة لقمان آية ٣٣ .

والنهاء تصويراً فطرياً يهز المشاعر ويستولى على الألباب . .

وقلنا لعل الماء يربو فنقتني

وعَلَّ غلاماً ناشئاً يترعرعُ

وكيف تمادت هذه الآمال على مر الأعوام . . لكنها تنتهي

إلى الفناء الذي هو غاية كل موجود : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ .

ويبقى وَجْه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (٣٣) .

ويأتي الشاعر بصورة جديدة في تأكيد ملك الله للكون

ومافيه إذ يقول :

فلله ما فوق السماء وتحتها

له المال يعطي من يشاء وَيَمْنَعُ

فليس ذلك من التعبير القرآني ولا النبوي ، لكن الإيقاع

الشعري جعل الشاعر يضع المضمون الذي تعلمه من عقيدته

الإسلامية في صيغة جديدة تناسب إيقاع قصيدته . . ولا حرج

عليه في ذلك . . فهو ليس مطالباً بالنسخ والنقل الحرفي كما يزعم

الزاعمون !

الراجز المسلم :

أما الشاعر المخضرم الثاني الذي نجعله مثلاً آخر للتأثر بعقيدة

الإسلام وتوجهه الخلقي ونظرته إلى الحياة ، فهو الراجز العجاج بن

رؤبة . . الذي ولد في الجاهلية ونشأ فيها نشأته الأولى وقال فيها أبياتاً من

رجزه . . وليس له ذكر في كتب الصحابة وإن كانت المصادر تذكر أنه لقي

أبا هريرة رضي الله عنه وروى عنه (٣٤) .

(٣٣) سورة الرحمن آية ٢٧ .

(٣٤) التاريخ الكبير للبخاري ٩٧١/٤ .

قال ابن قتيبة : قال العجاج قال لي أبوهريرة :

من أنت ؟ قلت : من أهل العراق . .

وروى عنه أنه قال : وردت المدينة فأتيت أباهريرة فقلت :

يا صاحب رسول الله ، إني رجل أقول من هذا الرجز شيئاً ، فهل ترى

علّى فيه حرجاً . فقال اسمعني بعض ماقلت : قال فأنشدته :

طاف الخيالان فهاجا سقماً

خيال تُكْنَى وخيال تُكْتَمَى

فقال : قد كان رسول الله ﷺ يُنْشِدُ مثال هذا فلا يرى بأساً (٣٥) .

وروى ابن قتيبة أن سليمان بن عبد الملك قال للعجاج :

إنك لا تحسن الهجاء ! فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم

وحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ ! وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يَهْدُمَ ؟ ! (٣٦) .

فإذا تأملنا ديوان العجاج فإننا نجد فيه رؤية إسلامية واضحة ،

وتأدياً شعرياً بأداب الإسلام . .

رؤية لتاريخ الإسلام :

قد جبر الدين الإله فجبر

وعوّز الرحمن من ولى العوّز

فالحمد لله الذي أعطى الحَبْرَ

مَوَالِي الحَقِّ إن المولى شكّر

عَهْدَ نَبِيِّ ما عَفَا وما دَثَرَ

وعهد صَدِيقٍ رأى بِرّاً فَبَرَّ

وعَهْدَ عِثْمَانَ وعَهْداً مِنْ عُمَرَ

(٣٥) مقدمة ديوان العجاج تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٦ - ٧ .

(٣٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٧٣ الطبعة الأولى تحقيق أحمد شاكر .

وعهد إخوان هُم كانوا الوزر
وعصبة النبي إذ خافوا الحصر
شدوا له سلطانه حتى اقتسر
بالقتل أقواماً أسر
تحت التي اختار له الله الجزر
محمدأ واختاره الله الخير
فما ونى محمد مذ أن عفر
له الإله ما مضى وما غبر
أن أظهر الذين به حتى ظهر (٣٧)

إن القالب الشعري الذي برع فيه العجاج بن رؤبة ، وهو الرجز ،
قد لا يتيح للشاعر الأناة وسعة الرؤية التي يجدها صاحب القصيدة في
أوزانه المختلفة وإيقاعاته المتنوعة . . لكن رؤية استطاع أن يروض الرجز
على التعبير عن معانيه وتصوير رواءه . . فأطال فيه النفس حتى ينعت
بعض أراجيزه على المائة والثمانين في قافية واحدة!
وتلك سمة من سمات الإبداع في الشكل قدر عليها الشاعر المسلم
إلى جانب إبداعه في صوره وروءاه . .

سلوك مثالي :

ورؤية هو الذي يقول في هرمه :
يارب إذ شدّدتني عقلاً
ولو تشاء أشرع انحلالاً

(٣٧) ديوانه بشرح الأصمعي تحقيق الدكتور عزة حسن ٥ - ٨ .

إِنْ كُنْتُ قَدْ غَيَّرْتُ حَالِي حَالاً
 مِنْ كِبَرٍ قَدْ أَوْهَنَ الْأَوْصَالَ
 فَلَمْ أَكُنْ أَسْتَنْطِقُ الْعُذَّالَا
 مِنْ أَنْ يَبْرُونِي لِلخَنَى قِوَالَا
 وَلَمْ أَكُنْ لِحَارِي غَـ____وَالَا
 وَلَمْ أَكُنْ فِي جَنْبِهَا جَهَّالَا
 وَلَمْ أَكُنْ أَخَادِعُ الضُّلَّالَا
 وَلَا لَمَّا حَرَّمَتْهُ أَكَّالَا
 وَلَا لَيْتَ جَارِي خَتَّالَا
 بَعْدَ الْمَنَامِ ابْتَغَى الْأَدْعَالَا
 تَبَغُّيَا مَا لَيْسَ لِي حَلَالَا
 عَلَّ الْإِلَهَ الْبَاعِثَ الْأَتْقَالَا
 يُعْقِبُنِي مِنْ جَنَّةٍ تَطْلَلَا
 وَعِثْبَاً يَسَاقُطُ الْأَهْدَالَا
 وَقَدْ يَثِيبُ الصَّابِرَ النَّوَالَا (٣٨)

فيها هو رؤية على قدر ما اتسع له إيقاعه الشعري وهو الرجز ،
 يقدم لنا صورة لسلوكه المثالي على هدى الإسلام ، وكأنها هو يفاخر به في
 شيخوخته ويرجوه حسن الجزاء من ربه . . فهو عفيف اللسان كريم
 المنطق لا يعرف الخنafi قوله . . وهو محافظ على حرمت الجوار لا يظلم
 جيرانه ولا يطمع فيما لا يحل له . . وهو أيضاً طاهر لا يأكل حراماً . .
 وذلك كله ابتغاء الثواب وطمعاً في الجنة .

● ونلاحظ أن العجاج قد عبر عن هذا المضمون الاعتقادي الإسلامي بطريقته الفنية الملائمة فقد صور هرمه الذي أثقله بأنه كشد الوثاق . . ولو شاء الله لأسرع هذا القيد في الإنحلال وقد صور إيمانه بالبعث في صورة استقاها من قوله سبحانه : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ إذ قال :

عَلَّ الإِلهَ البَاعِثُ الأَثْقَالَ

وصور رؤيته للنعيم الحسي في الجنة بصورة عفوية لا تكلف فيها إذ قال :

يُغْفِقُنِي مِنْ جَنَّةٍ تَظْلِلَا

وعنباً يساقط الأهدال . .

وكل هذه معان وصور لا عَهْد للشاعر الجاهلي بها وما كان لها أن تظهر في الشعر العربي إلا بفضل الإسلام .

تأثر بالقرآن :

ويتضح يقين العجاج بعقيدة الإسلام في صور كثيرة من شعره في قصائد قد يبدأها بالغزل كتلك التي قال فيها :

يَا ذِكْرَةَ ذَكَرْتُ لَيْلَى بَعْدَمَا

جال الفؤاد جولةً واستَهَزَمَا

فإنه لا يلبث بعدها أن يتحدث بنعمة الله عليه ويقرر اعتقاده وسلوكه فيقول :

فالحمد لله الذي قد أنعمَا

على أبي الشعثاء نِعْمَى ثم ما

بَدَّلَهَا إِلَّا بِإِحْسَانٍ كَمَا
 أَتَمَّ نِعْمَاهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ
 لَا أَشْتَمُ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ الْمُسْلِمَ
 وَلَا أَرَى شَتْمَ الْبَرِّءِ مُغْنِيًا
 وَلَا ابْنَ عَمِّي أَنْ أَرَاهُ مُفْعَمًا
 وَجَارَةَ الْبَيْتِ أَرَاهَا مُحْرَمًا
 كَمَا قَضَاهَا اللَّهُ إِلَّا أَنَا
 مَكَارِمُ السَّعْيِ لَنْ تَكْرَمًا
 غَافِلَةً اللَّهُ وَعِلْمًا أَنَا
 يَجْزِي الْمَجَازِي عَامِلًا مَا قَدَّمَ (٣٩)

فهنا يتضح تأثيره بالمعاني والألفاظ القرآنية . . كتبديل النعمة وإتمامها . . وقضاء الله بمعنى أمره لعباده . .

ولا نستطيع في هذا المجال ان نستقصي جوانب التأثير الإسلامي الواضح في رجز العجاج ، فذلك يحتاج إلى بحث مفرد ، ولكننا نشير إلى وفرة الشواهد في ديوانه التي تدل على تحوله الكامل من النظرة الجاهلية إلى نظرة الإسلام ، وأن تأثيره بالمعاني والصور القرآنية تأثر بالغ ، كما أنه قد تأثر بالشكل واللفظ والنسق الذي استفاده من القرآن . .

تجربة ذاتية :

وهذه قصيدة طويلة له ، بدأها بالحمد لله ، تأثرًا بها في الكتاب من بدء لبعض السور بذلك الحمد ، كقوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل

(٣٩) ديوانه ٢٦١ - ٢٦٣ .

على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجاً ﴿٤٠﴾ وقوله سبحانه :

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ ﴿٤١﴾ وتأثرا بما في السنة النبوية من افتتاح الخطب بالحمد ، وهو ركن من أركان خطبة الجمعة . وفي هذه القصيدة تصوير لتجربة قاسية عاشها الشاعر ، حين اشتد به المرض وأوشك على الهلاك ، وأصبح قومه يحفرون حفرته ، كأنهم نفصوا أيديهم منه ، ثم نجاه الله وعافاه ! وذلك إذ يقول :

وليلةٍ من الليالي مرّت
بكابدٍ كابذئها وجرّت
كلّكلها ، لولا الإله صرّت
في ظلمٍ أزّلها فـزّلت
عني ولولا الله ما تجلّت
بئ لها يقظانٍ واقسأنت ﴿٤٢﴾
حتى انقضى قضاؤها فأدّت
إلى الإله خلّقه إذ طمّت
غاشيةُ الناس التي تغشّت
يَومَ يرى المرتابُ أن قد حُقّت
إذا رأى متن الساء انقـدّت
وَحَى الإله ، والبلاد رُجّت . .

ولا يخفى ما في هذه الصور من رجوع إلى القرآن ، ومحاولة لاستيعاب الصورة القرآنية والتعبير عنها وفق إمكان السياق الشعري ، فهو يعبر عن القيامة بالغاشية ، وهو اسم من أسمائها في القرآن ، وعن ﴿٤٠﴾ سورة الكهف ١ . . ﴿٤١﴾ سورة فاطر ١ . . ﴿٤٢﴾ اقسأنت : اشتدت .

انشقاق السماء بِقَدِّ مَئْثَها ، وعن زلزلة الأرض بِرُجِّ البلاد ، وكلها تتصل بالإيمان بالغيب الذي أخبر به القرآن . ثم نأتي إلى الجانب الثاني في هذه القصيدة ، ويتضح فيه إحساس العجّاج بسعة رحمة الله ولطفه بعباده المؤمنين وذلك إذ يقول :

وليلة من الليالي مرت
بكابد كابدتها وجرت
كلكلها لولا الإله ضرت
في ظلم أزلها فـزلت
عني لولا الله ما تجلت
بت لها يقظان واقسأنت-أي
اشتدت

إذا رجوت أن تضيء أسودّت
دون قدامى الصبح فارجحنت^(١)
كانما نجومها إذ ولّت
زورا تبارى الغور إذ تدلّت
وهو الذي أبصر ليلاً لمعتني
بالكف إذ أمسك بالمصوت^(٢)
وحالت ألأواژ دون نشغي^(٣)
على خيازيمي وعضّت لكتي
وكزيتي وقد تدانث كزيتي !

(١) ارجحت : تقلت ورجحت . (٢) النشفة : الاقاقة .

(٢) المصوت (بفتح الواو) : موضع الكلام والمصوت بكسر الواو : اللسان

وَأَخَذَ الْمَوْتُ بِيَجْنِي لِحْيِي !
 وَسَبَّحَاتِي وَبِجَنْبِي لَيْتِي
 أَصْبَحَ قَوْمِي يَخْفِرُونَ خُفْرِي
 يَدْعُونَ بِاسْمِي وَتَنَاسُوا كُنْيَتِي !
 فَسَرَّ وُدَّادِي وَسَاءَ شُغْمَتِي
 إِذْ رَدَّهَا بِكَيْدِهِ فَارْتَدَّتْ !
 إِلَى أَمَارٍ وَأَمَارٍ مُدَّتْ (٤)
 دَافَعَ عَنِّي بِنُقْيِهِ مَوْتِي
 بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا وَالَّتِي
 إِذَا عَلَتْهَا أَنْفُسٌ تَرَدَّتْ
 فَارْتَاحَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحْمَتِي
 وَنِعْمَةً أَنْتَهَاهَا فَتَمَّتْ
 فَارَدَّهَا عَنِّي وَقَدْ أَعْلَتْ
 أَظْفَارُهَا وَنَابَهَا وَخَدَّتْ
 فَأَسَأَ وَمِسْحَاةً لَنَحْتِ جَبَلَتِي (٦)
 أَوْ مَا أَشَدَّ بَعْدَ مَا قَدْ شَدَّتْ
 لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ تُغْنِي عُنْدِي
 شَيْئاً وَلَا تَرْفَعُ جَنْبِي صَرْعَتِي
 وَكَانَتْ الْحَيَاةُ حَيْثُ حُبَّتْ
 فَقُلْتُ لِلْحَوْبَاءِ (٧) حِينَ هَمَّتْ

(٤) الأمار : الوقت . (٥) نقير : موضع . (٦) الجبلية : الخلقة . (٧) الحوباء : النفس .

بأن تخفّ جَزْعاً . . أو خَفَّتِ :

هل أنا إلا رجلٌ مِنْ أُمَّتِي؟!

أقضي كِمِثْلٍ بَعْضُ ما قد قَضَيْتِ

أو عِظَةٌ إِنْ نَفْسٌ حُرٌّ بَلَّتِ (٨)

وليس في القصيدة غرض آخر من

مدح أو فخر أو غزل . . فهي تصور تجربة ذاتية للشاعر عاناها خلال

مرضه . . تنف من صورها العجيبة الكثيرة الصادرة عن يقين الإيثار عند

قوله :

وهو الذي أبصر ليلاً لَمَقْتَى

بالكف إذ أَمْسِكَ بالمَصْرُوتِ

يريد : لمعته بكفه في جوف الليل حين يرفعها داعياً ربه مستغيثاً

برحمته . . وذلك حين عجز لسانه عن الكلام من شدة مرضه كما يدل

عليه قوله : إذ أَمْسِكَ بالصوت . . كأن المرض قد أَمْسَكَ لسانه وحال

بينه وبين النطق بالدعاء . . فرفع كفيه إلى السماء وهو موقن أن الحق

سبحانه يرى إشارته بكفه ويستجيب لتضرعه الصامت . .

كما نشير إلى قوله :

هل أنا إلا رجل من أمتي !

لتبين منه ارتباط الشاعر بمعني الأمة ووعيه بأساس الإنتماء

الإسلامي . . «إن هذه أمتكم أمة واحدة»

وهذا الإنتماء هو ما يريد المخربون المعاصرون اقتلاعه من الجذور

بحجة أن غاية الشعر هي الشعر . .

ولا شأن له بالأمة ولا المجتمع ولا الحياة !

(٨) بليت : نجت .

والشواهد على صدق تأثر العجاج بالعقيدة والأخلاق الإسلامية في شعره نحتاج معها إلى صحبته في ديوانه كله ، وأنى لنا ذلك في هذا الحيز الضيق ، ونكتفي بهذا الشاهد الأخير على وعيه بتوجيه الإسلام للشاعر بالكف عن الهجاء الكاذب الفاحش إذ يقول في مطلع قطعة من أرجازه :

تالله لولا أن تحشَّ الطُّبَّيخُ^(٩)

بي الجحيم . . حين لا مُستَصْرَحُ

في دُخْلِ النار وقد تسلَّخوا

لَعَلِمَ الْجُهَّالُ أَنِّي مِفْنَحُ^(١٠)

فالذي يمنعه من الغلبة في الهجاء والرد على الشعراء هو خوفه أن يكون وقود النار يوم القيامة ! وكفى بذلك التزاماً بأداب الإسلام !

(٩) الحشَّ إيقاد النار . والطبخ : جمع طابخ يريد من يسعون النار .

(١٠) المِفْنَحُ : الذي يقلب خصمه أسوأ الغلبة !

شعراء ، أخلصوا شعرهم للإسلام :

● إذا كان بعض ما يقال عن شاعرين مخضرمين ظهر أثر الإسلام في معانيهما وصورهما . . . ولم يفقدا خاصية الإبداع والتفرد . . ولم يكونا صورة منسوخة لمضمون واحد يرددانه دون وعي ، كما يدعي المقترون ، فما بالنابالحديث عن الشعراء الذين ولدوا ونشأوا في ظلال الإسلام ، بعد أن أصبح الإسلام هو أساس الحياة وموجه المجتمع إلى غاياته .

● انني أجزم بأننا لو رجعنا إلى شعراء العصر الأموي لوجدنا لدى الكثير منهم صوراً معجبة من التأثير العميق بالإسلام وصدق التعبير عن عقيدته وأخلاقه . . . رغم ما يدعيه المفرضون من أن الشعر العربي ارتد إلى جاهليته في العصر الأموي ، أو بقي عليها ، لأنهم لا يعترفون بأن روح الإسلام قد ظهرت بوضوح في الشعر العربي . . . وأشير هنا إلى محاولتي في قراءة ديوان الفرزدق للتعرف إلى أثر الإسلام في شعره ، فوجدت ذلك شيئاً ، استغرقت الإشارة المجملة إليه مايقرب من مائة صفحة كبيرة . . . فما بالنابالو وقفنا أمامه وقفة تأمل وتحليل . . . وقد طبع هذا البحث منذ سبع سنوات . . . ولو أجرينا التجربة نفسها مع شعراء آخرين كذي الرمة وجريبر والأحوص وغيرهم لوجدنا الدلائل الواضحة على أن الأدب الإسلامي قد خط طريقه وأوضح معالمه للسائرين . .

ولكن الإنحراف عن هذا الخط كان يقع بتأثير فتن في أفق السياسة والمجتمع ، اتجهت بالشعراء إلى معارك مصطنعة لشغل الناس بها وصرف اهتمامهم نحوها . .

وأشير هنا إلى الشاعر الأموي الأحوص ، فرغم اشتغاله بالهجاء وشدة الخصومة بينه وبين ولأى المدينة أبي بكر بن حزم الذي أبعده

عنها . . إلا أننا نجد شواهد الرؤية الإسلامية واضحة في شعره ، فهو على وعي بأن الشعر ينبغي ان يصدر عن حقيقة ، وهو في مدحه يرجع إلى مقاييس الإسلام ، يقول في خطابه للخليفة عمر بن عبدالعزيز:

وما الشعر إة خطبة من مؤلف

بمنطقٍ حق أو منطقٍ باطلٍ

فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا

ولا ترجعنا كالنساء الأرامل

رأيناك لم تغدل عن الحق يُمنّة

ولا يُسرة فعل الظلّوم المجادل

ولكن أخذت القصد جهدك كله

وتقفو مثال الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا

ومن ذا يرد الحق من قول عادل (١)

وإذا كان هذا في المديح . . فقد قال في الغزل العفيف :

قالت وقلتُ تخرّجى وصلي

حبل امرئ بوصالكم صب

صاحب إذن بغلى فقلت لها

الغدر شيء ليس من شعبي (٢)

ثيان لا أذنو لوصولهما

عرس الخليل وجارة الجنب

(١) خلقي . وتروى : ضريب .

(٢) ديوانه ص ٨٢ .

أما الخليلُ فلست فاجعه

والجار أوصاني به ربي(١)

لقد كان للإسلام أثره الواضح في توجيه التعبير عن العاطفة في الأدب العربي .

ولم يكن باستطاعة الشعر العربي أن يغير موقفه من العاطفة أو يحسن التعبير عنها لو لم يتغير موقف المجتمع العربي - بفضل الإسلام - من المرأة هذا التغير العظيم الذي رفع مكانتها ونظر إليها نظرة إنسانية سامية تعلقو عن كونها أداة لهو ووسيلة متعة ، ولو لم يتطهر ذلك المجتمع من الآثام والفواحش ، ويعرف مبادئ الأخلاق الكريمة ومثل الإسلام الرفيعة .

شعر العاطفة العفيف :

إن الشعر الذي يمثل النظرة الإسلامية إلى العاطفة قد صدر عن كثير من الأحاد غير المشتهرين من الشعراء الإسلاميين وأفراد مجهولين حفظ المجتمع الإسلامي أشعارهم وعنى برواية بعضها أهل الرواية ، ولكن طغى على هذا الجانب المثالي ، شعر اللهو والمجون في العصر العباسي الذي ارتبط بشعراء مشهورين مقربين من الحكام وأصحاب الجاه . . .

ويدلنا على ذلك ان محمد بن داود الظاهري قد أورد في كتابه «الزهرة» وبعضهم من المجهولين لكن أحداً لم يهتم بهذا اللون من شعر العاطفة العفيف بعد ابن داود الذي عاش في القرن الثالث الهجري .

يروى ابن داود عن العَدْنِيس الكِنَانِي قوله :

(١) ديوانه ص ٨٢ - ٨٣ جمع وتحقيق/ عادل سليمان . الطبعة الأولى القاهرة : ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .

جزى الله الوشاة جزاء سوء
 فإنهم بنا قد يولعوننا
 ولو لم نخش إلا الناس كانوا
 علينا في الإساءة هيينا
 ولكننا نخاف الله حقاً
 ونخشى الله إسلاماً وديناً
 ونستحي ونرعى غيب مجمل
 ونحن على المودة منطوين (١)
 إن الشاعر المسلم يشعر كغيره بالعاطفة الفطرية ويتأثر بالجمال ،
 لكنه محكوم في تعبيره وسلوكه بالمنهج الخلقي الذي جاء به الإسلام .
 روى الزبير عن أبيه عن جده قال :
 قال عثمان زر حُبَابَةَ بِالْعَرَصَةِ
 تُحَدِّثُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا
 ثم تلهو إلى الصبح ولا تقمر
 سرب في اللهو والحديث حراماً
 وصفوها فلم أزل عليم الله
 مُسْتَوَلِّها مُسْتَهَامًا
 هل عليها في نظرة من جناح
 من فتى لا يزور إلا لِمَامًا
 حال فيها الإسلام دون هواه
 فهو يهوى ويرقب الإسلاماً
 ويميل الهوى به ثم يخشى
 أن يطيع الهوى فيلقى أثاماً (٢)

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي ٢٣٧ .

(١) الزهرة ٧٠ / ١ .

ولا نقف هنا عند حكم النظرة التي يتمناها هذا الشاعر . . .
فلعلها نظرة خاطب . . وهي جائزة بمقاييسها الشرعية لكننا نقف عند
الصراع النفسي الذي يواجهه بين الهوى الجامح والتوجيه الإسلامي
الراشد . . فهو يهوى ويرقب الإسلام . . ويميل الهوى به ثم يخشى أن
يطيع الهوى . .

فأين من هذا الأفق العالي ماتدنى إليه التعبير عن الغريزة لدى
فسقة الشعراء في القديم وفسقتهم في العصر الحديث - من إسفاف
وحوانية . . وإثارة للغرائز وإضرار لنيران الشهوات . . مما يسمونه حرية
وإبداعاً وهو الانحلال والانحطاط والعبودية للمنحليين . . .

ومع هذه التأثيرات العميقة للتوجيه الإسلامي في الأدب العربي
التي ظهرت لدى شعراء خلطوا عملوا صالحاً وآخر سيئاً - فقد ظهر في
تاريخ الشعر العربي شعراء أخلصوا أنفسهم لعقيدة الإسلام به . .
فلم يصدر عنهم قول سيئ ، ولم يتناولوا في أشعارهم غرضاً ياباه
هدى الإسلام . .

ونمثل هؤلاء بشاعر أموي في القرن الهجري الأول هو سابق
البربري . وشاعر عباسي في القرن السابع الهجري هو أبو يحيى
الصرصري .

وشاعر أندلسي في القرن الخامس الهجري هو أبو إسحق
الإلبيري .

ولا نستطيع في مجالنا هذا أن نقدم صورة مفصلة عن كل واحد من
هؤلاء ، فذلك يحتاج إلى دراسة واستقصاء .

سابق البربري :

لكن الشاعر الأول قد حظي بدراسة في رسالة علمية لدرجة الماجستير بجامعة أم القرى لطالبة جادة مجتهدة وعنوانها «سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره» وقد قاربت صفحاتها ستمائة صفحة . .

والمؤسف أن هذا الشاعر الذي ولد في منتصف القرن الهجري الأول وكان معاصراً لعمر بن عبدالعزيز وأثيراً لديه قد تعرّض شعره للضياع ، فلم يُجمع في ديوان ، وإن كان هناك من يذكر أنه كان له ديوان ، لكن عدت عليه عوادى الزمان . . . وقد أتيح لهذه الدراسة المتأنية أن تجمع من شعره المتناثر ما يزيد على مائتي بيت وتوثقها من مصادرها . . . ويصدق على هذا الشعر ما قيل في ترجمة الشاعر العابد الزاهد ، فليس فيه مديح ولا هجاء ولا فخر ولا رثاء ولا غزل . . بل جاء كله في الحكمة والزهد والتأمل والتذكير . .

وقد ذكره الجاحظ في البيان والتبيين وإن كان قد نقد شعره بأنه في غرض واحد هو الزهد والحكمة (١) . إن التزام سابق البربري بالمنهج الإسلامي في شعره واجتنابه كل ما يؤثّم أو يغييب . . لا يعني ضعف شعره وخروجه عن حد الشعر واستحالاته إلى مواظت تقريرية أو نصائح مكرورة . .

والمشكلة أن شعره قد ضاع ولم يبق منه إلا شواهد متفرقة يسوقها أصحاب كتب الأدب الإسلامي والتوجيه الخلقي مساق الأمثال . . لنستمع إليه وهو يصور المفارقة بين موقف من يزهد في الدنيا بلسانه ويميل إليها بقلبه ويصبو إلى زيتتها . . . فيقول :

وَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَاَهَا

كما لخراب الدهر تُبْنِي الْمَسَاكِنُ

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٠٦ .

عَجِبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَذَمُّ نَعِيمِهَا
 وَحَبِيَّ لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ سَاكِنُ
 وَقَوْلِي أَعِزَّنِي رَبِّ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ
 وَأُكَلِّفَ مِنْهَا بِالَّذِي هُوَ فَاتِنُ (١)

وَمَا بَقِيَ مِنْ شَعْرِهِ يَحْمِلُ طَائِعَ الْقَصِيدَةِ الْكَامِلَةَ قَلِيلٌ . . وَمِنْ ذَلِكَ
 قَصِيدَتُهُ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

تَأَوَّبَنِي هَمٌّ كَثِيرٌ بِلَابِلِهِ
 طُرُوقاً فَعَالَ النَّوْمَ عَنِّي غَوَائِلُهُ
 فَوَيْحِي مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ وَاقِعٌ
 وَلِلْمَوْتِ بَابٌ أَنْتَ لَابِدٌ دَاخِلُهُ
 أَيَّامُنَ رَيْبِ الدَّهْرِ يَانْفُسُ وَاهِنُ
 تَجِيْشُ لَهُ بِالْمُقْطَعَاتِ مَرَاجِلُهُ
 فَلَمْ أَرِ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْجَهْلِ غَافِلُ
 أَسِيرًا يَخَافُ الْقَتْلَ وَاللَّهُوُ شَاغِلُهُ
 فَمَا بِأَلِهِ يَفْتَدِي مِنَ الْمَوْتِ نَفْسَهُ
 وَيَأْمَنُ سَيْفَ الدَّهْرِ وَالِدَهُ قَاتِلُهُ
 وَلَا يَفْتَدِي مِنْ مَوْقِفٍ لَوْ رَمَى الرَّدَى
 بِهِ جَبَلًا أَضْحَتْ سَرَاباً جَنَادِلُهُ
 وَبَعْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ يَانْفُسُ كُزْبَةٌ
 وَهَوْلُ يُشِيبُ الْمَرْضَعِينَ زَلَازِلُهُ
 إِذَا الْأَرْضُ خَفَّتْ بَعْدَ ثَقُلِ جِبَالِهَا
 وَخَلَّى سَبِيلَ الْبَحْرِ يَانْفُسُ سَاحِلُهُ

(١) سابق البربري ص ١٦١ رسالة مخطوطة للأستاذة شادية حسن زيني .

فلا يزجى عوناً على حمل وزره
مسيء فأولى الناس بالوزر حامله
وتبلغ هذه القصيدة أربعة وثلاثين بيتاً وقد اختار لها الشاعر قافية
الهاء الساكنة الملازمة لجو الخشوع والزهبة والتأمل في المصير .
وفيها من المعاني الإيمانية الصادرة عن التدبر في كتاب الله والتأثر
بمعانيه الشيء الكثير .
وفيها يقول :

وفيك إلى الدنيا اعتراض وإنما
تُكّال لدى الميزان ما أنت كائله
فلا تتكثّ بَعْدَ الهدى عن بصيرة
كما نكت الحبل المضاعف قاتِلُهُ
يشير إلى قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالتي نقصت غزلها من بعدِ قُوَّةٍ
أَنكاثاً﴾ .

وتَظَلَب في الدنيا المنازَل والعلا
وتَنسَى نعيماً دائماً لا تُزَايِلُهُ
كَمَنْ غَرَّه لَمَعُ السراب بقيعة
فقصَّر عن وِرْدِ تَجْيِش مَناهِلُهُ
وقد خانت الدنيا قروناً تتابعوا
كما خان أعلى البيت يوماً أسافلُهُ
وتُضْهِج فيها آمناً ثم لم تكن
لتأمن في وادٍ به الخوف نازلُهُ
إن هذه المعاني لو جاءت في شعر شاعر غربي لعدّت فلسفة
حكيمه ونظرة عميقة إلى الوجود الإنساني ، لكن المستهزئين بأدبنا

الإسلامي ينظرون إلى مثل هذا الشعر على أنه شعر وعظ تقليدي لا يعكس نظرة مستقلة إلى الوجود . . .

موعظة الخليفة !

أما أطول قصيدة بقيت لسابق فهي رائيته الشهيرة التي وعظ بها الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ويبلغ ما بقي منها خمسين بيتاً ، وكانت في الأصل أطول من ذلك .

ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سابق البربري : أن عَظْنِي . فكتب إليه سابق بهذه الأبيات :

باسم الذي أنزلت من عنده السور

والحمد لله أمّا بعد يا عَمْرُ

إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر

فكن على حذرٍ قد ينفع الحذر

واصبر على القدر المقدور وارض به

وان أذاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لامرئ عيش يسر به

إلا تتبّع يوماً صفوه الكدر

واستخبر الناس عما أنت جاهله

إذا عميت فقد يألو العمى الخبر

فإن أقيمت على ألا مساءلة

فلمست تعرف ما تأتي وما تذر

قد يرعوى المرء يوماً بعد هفوته

وتحكم الجاهل الأيام والغير

إن التَّقَى خير زاد أنت حامِلُهُ
 والبرُّ أفضلُ شيءٍ نالَه بشرُ
 وفي الهدى عبْرٌ تُسْقَى القلوبُ بها
 كالغيثِ يَنْضُرُ عن وَسمِيهِ الشجرُ
 ومع أن القصيد حِكْمِيَّة وعظِيَّة . . . إلا أن سابقاً البربري لا يخلِها
 من اللمحات التصويرية المحركة للوجدان . . فيجعل نفسه مثلاً لموقف
 أكثر الناس من الدنيا واعتزازهم بزخرفها فيقول :

حتَّى متى أنا في الدنيا أخو كَلَفٍ
 في الخدِّ مني إلى لذاتها صَعَرُ
 ولا أرى أثراً للذِّكْرِ في خَلْدِي
 والحَبْلُ في الحَجَرِ القاسي له أثْرُ !
 لو كان يُسْهِرُ عَيْنِي ذِكْرُ آخِرِي
 كما يُوْزِقُنِي لِلْعَاجِلِ السَّهَرُ
 إذا لداوَيْتُ قلباً قد أضَرَّ به
 طول السَّقَامِ . وهَيْضُ العَظَمِ يَنْجِبُ

قيل هذا الشعر في أواخر المائة الأولى من تاريخ الإسلام فهل كان
 بإمكان شاعر جاهلي أن يتحدث عن هذه المعاني أو أن يحاسب نفسه
 الحساب ويستشرف بها إلى هذا الأفق؟!

مقولات خاطئة :

إن مقولات بعض النقاد القدامى قد أضرت بقضية الأدب
 الإسلامي . . إذ تناقلوا قول الأصمعي إن الشعر إذا أدخلته في باب الخير

لأن - أي ضعف - وإن طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرَّحْل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار (١).

أي أن الشعر لا يصلح إلا مع أغراض الجاهلية ومعانيها . ويردد هذه المقولة ابن قتيبة ناقلاً عن الأصمعي أن الشر فإذا دخل في الخير ضعف (٢) .

بل يزيد الثعالبي الأمر سوءاً حين يزعم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في طريقه من الملك (٣) .

إن هذه المقولات مردودة على أصحابها فالضعف لا يختص بالشعر الذي يتجه وجهة الخير ولا هو لازمة من لوازمه . . وقد يسخف الشعر ويضعف وهو أبعد ما يكون عن الخير . . فيجمع إلى سوء الشكل سوء المضمون .

وقد نقد الباقلائي في كتابه «إعجاز القرآن» معلقة امرئ القيس :
«فَقَا نَبَّكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ» نقداً مريراً . . ويبين ما في كثير من أبياتها من ركافة وتهافت وتكرار وإسفاف (٤) .

كما بين تصنع أبي تمام وتهافته في لاميته :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ

وَصَدْرُكَ مِنْهَا مَدَّةَ الدَّهْرِ أَهْلٌ

تُطَلُّ الطُّلُولُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ

وَتَمَثَّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيارَ الْمَوَائِلُ

(١) الموشح للرزباني ص ٥٦ (طبع الدين الخطيب) .

(٢) الشعر والشعراء ٣١١/١ .

(٣) خاص الخاص للثعالبي .

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ١٥٨ - ١٨٣ / تحقيق السيد صقر .

دوارس لم يَجْفُ الربيع ربوعها
ولا مرَّ في أغفالهـا وهو غافل
لقد سحبت فيها السحاب ذبولها
وقد أخلت بالنَّور تلك الخبائلُ
وكلها من هذا الجنس البارد!

قال الباقلاني : «ومن الأدب من عاب عليه هذه الأبيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع وتعمَّل من الصنعة فقال :
قد أذهب ماء الشعر ورونقه وفائدته اشتغالاً بطلب التطبيق أي المطابقة - وسائر ما جمع فيه» (١)

ولو نظرنا في شعر سابق البربري الملتزم بالإسلام لوجدنا فيه ماء ورونقاً وبعداً عن التكلف والإغراق في الصنعة وننتقل من العصر الأموي

شاعر من بغداد :

إلى نهاية العصر العباسي لنجد الشاعر يحيى بن يوسف الصرصري ، نسبة إلى صرصر من نواحي بغداد ، الذي قال عنه ابن كثير : الشيخ الإمام العلامة البارع في أنواع من العلوم الفاضل المادح الحنبلي الضرير البغدادي في معظم شعره في مدح رسول الله ﷺ وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر وكان ذكياً يتوقد نوراً ، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء (٢)

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠٨ تحقيق السيد صفر .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢١١ .

وقد قتل هذا الشاعر المسلم شهيداً يوم دخل التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ وكان قد أعدَّ لهم حجارة ليرميهم بها ، فحين دخل التتار رماهم بتلك الأحجار فهشَّم منهم جماعة ، فلما خَلَصُوا إليه قُتِلَ بعكازه أحدهم ، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله .

ومخطوطات ديوانه في برلين والأسكوريال وتركيا والقاهرة ودمشق . وفي مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى مصورتان لنسختين من نسخ ذلك الديوان . إحداهما مصورة عن نسخة مكتبة «شيستر بيتي» بايرلندا والثانية عن نسخة مكتبة الأزهر . وهذا الشاعر المسلم بحاجة إلى دارس ناقد يتأمل شعره ويزنه بميزان النقد الصحيح . . وهو من ناحية المضمون إسلامي خالص . . ومن ناحية الشكل جميل مليء بالصور وفي بعضه نظم يشبه نظم العلوم . . .

لقد عاش الصرصري في فترة حرجة من تاريخ الإسلام انتهت بسقوط الخلافة العباسية في بغداد واستيلاء التتار الوثنيين عليها .

وقد سبقت هذا الحادث المفظع أحداث وقلاقل وتمادى أهل البغي والضلal في ضلالهم ، وكان هناك صراع بين المستمسكين بمنهج الكتاب والسنة وأهل الزيغ والإبداع . . .

ومن هنا سخر الصرصري موهبته الشعرية في نصرة منهج أهل الحق والتصدي لأهل الباطل والتعبير عن مشاعر الأمة ، وتلك سمة مميزة من سمات الأدب الإسلامي أنه يعبر عن مشاعر الأمة ويعيش أحداثها ، وإن حاول المبتدعون تفيرنا من أدب الوقائع والمناسبات ، كما يسمونه ، وإياها منا بأن مهمة الشاعر ان يعبر عن ذاته وأن يغني لنفسه ، ولا عليه ، ما يصيب الناس حوله من زلازل وأحداث .

التزام الشاعر المسلم بقضايا الأمة :

وإذا كانت المذاهب المادية المعاصرة تلزم الشاعر بأن يعيش قضايا مجتمعه ، وألا يشغل الناس برؤاه الفنية التي لا نفع لها . .

فإن التوجيه الإسلامي للأدب يلزم الشاعر والكاتب أن يفعل بما يصيب الناس من حوله ، وإن يعيش مع أمته ، معبراً عن آمالها وآلامها ، ساعياً إلى عزتها ونهضتها ، لا أن يكون عبثاً عليها بفضول القول وعبث الرؤى . .

مع أن الإسلام لا يحظر على الشاعر أن يعبر عن ذاته وإن يَصْدر عن تجربته الخاصة ، بشرط أن يؤدي واجبه الاجتماعي ، وأن يعبر عن الأصرة التي تربطه بدينه وأمته . .

وقد أخذ بعض النقاد المعاصرين يتحررون من وهم الرؤى ويُقرّون بصلة الشعر بالحياة ووقائعها . . ومن هؤلاء الشاعر الحداثي المعاصر أحمد عبدالمعطي حجازي الذي كتب أخيراً في سلسلة مقالات يرد بها على دعاوي «أدونيس» :

«ولقد يحسب بعض الناس أن العرب وحدهم هم الذين وصفوا الوقائع وحركتهم المناسبات ومدحوا وهجّوا وتكلموا في السياسة والمجتمع ، لكن هؤلاء لا يعلمون أن أكبر شعراء العالم ، من أول «هوميروس» إلى «أراجون» لم يخلُ شعرهم من هذه الموضوعات إن لم يدر معظمه عليها . ولماذا يكون من حق شكسبير أن يقول عن بلاده : هذه القطعة المباركة . . هذه الأرض . . هذه المملكة هذه الإنجلترا ولا يكون من حق شوقي أن يقول :

وطني لو شُغلتُ بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي

ولماذا يكون من حق «أراجون» «ايلوار» «ويتشي» أن يسخروا
شعرهم لقضايا بلادهم ولا يكون ذلك من حق شعرائنا(١)

الواقعية لا تنافي الإبداع :

المهم أن نؤكد أن واقعية الشعر وتناوله لقضايا الحياة ليست حائلاً
بينه وبين الإبداع . . وأن الشاعر المسلم لا يستطيع أن يتجاهل مشاعر
أمته ، ولا أن يفرح وهي محزنة . . ولا أن يشتغل بالتوافه . . وأمته
تواجه الكوارث والخطوب . .

وهذا مانجده في شعر يحيى الصرصري البغدادي ، الذي كان
يحاول نصره أمته في صراعها مع قوى الشر والفساد والطغيان .

قال الصرصري حين انقطع موكب الحاج من بغداد بسبب
الأحداث التي سبقت سقوط بغداد :

مُنْعِنَا الْحَجَّ وَالسَّبْبُ الذَّنُوبُ

ونحن عن المعاصي لا نتوب

تطاول منعه عاماً عاماً .

فكيف يَلْدُ عَيْشٌ أَوْ يَطِيبُ

ومما العَجَبُ انْقِطَاعَ الْحَجِّ لَكُنْ

دوام سرورنا عَجَبٌ عَجِيبُ!

أَيَغْلَقُ بَابَ كُلِّ الْخَيْرِ عِنَّا

ولا تَبْكِي؟ لَقَدْ قَسَيْتِ الْقُلُوبُ!

وكيف وَجُلُّ مَطْعَمِهَا حَرَامُ

يكون من الخشوع لها نصيبُ؟!

(١) من مقال لأحمد عبدالمعطي حجازي بعنوان : أسئلة الشعر بجريدة بتاريخ ١١/١/١٩٨٩م .

تَمَلَّكَهَا الحُطَامُ فَكُلَ إِثْمَ
لَهُ بِصِمِيمِهَا سَهْمٌ مُصِيبٌ
فَمَا رَزَا القُلُوبَ إِذَا لَعِمَرَى
أَحَقُّ بِأَنْ يَهِيمَ لَهُ اللَّيْبُ
طَوَى عَنْهُ فَوَائِدَهُ هَوَاهُ
وَصَانَتْ سِرَّهَا عَنْهُ الْغِيُوبُ
وَلَوْ أَنَا عَقَلْنَا مَا فَقَدْنَا
لَكُنَّا بِكُلِّ نَاحِيَةٍ نَحِيبُ
فَقَدْنَاهَا مَوَاسِمَ مُشْرِقَاتِ
بَوَيْلِ الْبِرِّ مَرْبُعَهَا خَصِيبُ
مَوَاقِفِهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ مَلَأَى
وِظْلٌ مَقِيلُهَا أَرْجُ رَحِيبُ
حِيَاضِ الْأَنْسِ فِيهَا مُتْرَعَاتِ
وَرَوْضِ بَقَاعِهَا غَضُّ رَطِيبُ
فَكَمْ نَعَمَ بِنَعْمَانِ اسْتَفَدْنَا
وَكَمْ غُفِرَتْ بِسَاحَتِهِ ذُنُوبُ
وَفِي عَرَفَاتِهِ كَمْ قَدْ عَرَفْنَا
بِهَا عَرَفْنَا لَهُ رُوحَ وَطِيبُ
مَوَاطِنَ لَوْ تَبَاعَ بِئِذْ رُوحُ
يَصَادَفُ بُغْيَتِي فَارْجُ قَرِيبُ
فَوَاسِفَاهُ هَلْ يُقْضَى رَجُوعُ
إِلَيْهَا أَمْ نَمُوتُ فَلَا نَرْجُؤُ؟!

إن العاطفة الصادقة والصور المتألقة في هذه الأبيات واضحة

للمتأمل . . . وتعبيره عن مشاعر الأمة ونقده لخطايا المجتمع يدل على التزامه بوظيفة الشاعر المسلم . . .

حين جاء التتار :

وحين جاءت طلائع التتار إلى بغداد ثم ولوا منهزمين تحت الليل ،
قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦ يقول الصرصري :

أشكرو إلى الله الشديدِ القَهْرِ
مِنْ فِتْنَةٍ ثُمُوجُ مَوْجِ الْبَحْرِ
تَغْلِي مِنَ الشَّرِّ كَغَلَى الْقِذْرِ
قَدْ مَلَأَتْ بَرْغُبَهَا وَالذُّغْرِ
فَبَوَّادَ كُلِّ فَاجِرٍ وَبَرٍّ
حَلَّتْ مِنَ الْأَرْضِ بِكُلِّ قُطْرِ
وَفَتَكَتْ بِيَدِ دُوهَا وَالْحَضَرِ
فَأَمَعَنْتْ بِنَايِهَا وَالظُّفْرِ
وَأَوْطَأَتْهُمْ مِثْلَ حَرِّ الْجَمْرِ
تَهَوَّى عَلَى النَّاسِ هُوَى الصَّقْرِ
عَلَى بُغَايَاتِهِمْ فِي وَكْرِ
جَاءَتْ مِنَ الشَّرْقِ كَسِيلِ غَمْرِ
أَوْ رِيحِ نَخَسٍ أَقْبَلَتْ بِصَرٍّ
فِي مُجْدِبِ أَشْهَبِ مُقْشَعِرٍّ
فَنَذَبَتْ بِنَعْمٍ وَثَمَرٍ
أَوْ جَائِمِ أَحْمَرِ مُقْمَطِرٍّ

أَجَّجَ فِي ذَاتِ غَضَا وَسِذِرَ
فِي يَوْمِ رِيحِ عَاصِفٍ مُغْبِرٍ
تَأْتِي عَلَى الْيَابِسِ وَالْمُخْضِرِ
يَا فِتْنَةً قَاصِمَةً لِلظَّاهِرِ
هَائِلَةً بِكَيْدِهَا وَالْمَكْرِ
تُلْقَى بِوَجْهِهِ كَالْحِمْزِ
مُسْتَبْشِعِ الْمَنْظَرِ مُكْفِهٍ
فِيهَا رَجَالٌ خُلِقُوا لِلشَّرِّ
طَيِّبَتُهُمْ مَعْجُونَةٌ بِالْعَذْرِ
سَقَتُهُمُ الْقَسْبُ وَكَأْسُ الْمُرِّ
تَحْسَبُهُمْ مِنْ غَمَرَاتِ السُّكْرِ
يَمْرُونَ شُمَخَ السِّدْرِ
كَمْ بَلَدٌ يَقْتُلُهُمُ وَالْقَسْرِ
أَصْبَحَ بَغْدَانِسُهُ كَالْقَفْرِ
وَاعْتَاظَ مِنْ عِرْفَانِهِ بِالنُّكْرِ
وَالْخُلْفَ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْجَبْرِ
فِي كُلِّ مَا تَغِيرُ لَنَا وَمِضْرٍ
أَمْرٌ مِنْ كُلِّ فَطِيحٍ مُرٍّ
زَيْدٌ يَرُومُ غِرَّةً مِنْ عَمْرٍ
لَوْ نَصَحُوا فِي سِرِّهِمْ وَالْجَهْرِ
لِلَّهِ نَصَحَ صَادِقِي ذِي بَرٍّ
لَتَنَظَّفُوا صَدُورَهُمْ مِنْ غَمْرِ
وَأَقْبَلُوا نَحْوَ إِمَامِ الْعَصْرِ
مِنْ غَامِضِ الْبَحْرِ وَأَقْصَى الْبَرِّ

مُعْتَقِلِي الدَّنِّ الْعَوَالِي السُّمَرِ
لُنُصْرَةِ السُّدَيْنِ وَشُدِّ الْأَزْرِ
فَهُوَ عَلَيْهِمْ وَاجِبٌ بِالْأَمْرِ
لَيْسَ لَهُمْ فِي تَرْكِهِ مِنْ عُذْرِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ فِي الْأَجْرِ
مِنْ رَغَبٍ أَوْ طَلِبٍ لِشُكْرِ
فَأَيْنَ غَيْرَةُ الْمَلُوكِ الْغُرِّ
عَلَى الْمُصُونَاتِ ذَوَاتِ الْخِذْرِ
مَنْ كَيْدَ أَرْبَابِ الْخَنَاءِ وَالْخَتْرِ
وَالنَّاسِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فِي بَسْتَرِ
يَزْجُونُ بِاللَّهْوِ وَشَرِبِ الْخَمْرِ
نَصْرًا وَأَتَى لَهُمْ بِالنَّصْرِ
لَوْ بَدَا طِمَاعُ الْمَغْتَرِّ
وَأَقْلَعُوا عَنْ حَوْبَةِ الْمَصْرِ
إِقْلَاعِ عَبِيدٍ وَجَلِّ مُقِرِّ
بِمَوْجِبِ الذَّنْبِ الثَّقِيلِ الْوِزْرِ
وَأَخْلَصُوا قَنُوتَهُمْ فِي الْفَجْرِ
وَحَشَدُوا فِي الْجُمُعَاتِ الْغُرِّ
وَأَخْرَجُوا فِي ضَرْعٍ وَجَارِ
كَفَعْلِهِمْ عِنْدَ احْتِبَاسِ الْقَطْرِ
لَعَجَلِ الرَّحْمَنِ كَشَفِ الضَّرِّ
عَنْهُمْ وَفَازُوا بِالرِّضَا وَالْغَفْرِ (١)

هكذا كانت حال المسلمين أمام التتار، ورعبهم في مواجهتهم،

(١) «ديوانه المخطوط نسخة مكتبة شسترييتي» مصورة بمركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة .

وهكذا كانت رؤية الصرصري لأسباب ضعف المسلمين وتخاذلهم أمام أعدائهم ، وهي رؤية صحيحة يضاف إليها إهمالهم في اتخاذ الأسباب وإعداد القوة التي أمرهم الله بإعدادها لمواجهة أعداء الدين .

لكن الصرصري كان مطمئناً إلى أن التتار لن يستطيعوا اجتياح بغداد استناداً إلى الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «وإني سألت ربي لأمني ألا يهلكهم بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال لي : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً» (٢) .

ولذلك حين تواترت الأخبار بورود التتار وهرب أكثر الناس عن أوطانهم خوفاً منهم ، وذلك في جمادي الأولى من سنة سبع وأربعين وستائة - أي قبل تسع سنوات من سقوط بغداد - أخذ الصرصري يطمئن الناس بأن التتار لن يستطيعوا اجتياح بغداد استناداً إلى هذا الحديث .

وهذا فهم لا نوافقه عليه . . فإن التتار لم يستطيعوا اجتياح بغداد إلا بأسباب الاختلاف والتنازع بين المسلمين ، وبتدبير من الوزير الرافضي ابن العلقمي الذي كاتّب التتار وأمدّهم بالمعلومات .

لكن الصرصري قال :

عَهْدُ الْمُصْطَفَى بِوَحْيِ السَّلَامِ

عَهْدُ حَقِّ لِبَيْضَةِ الْإِسْلَامِ

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن حديث رقم ١٩ .

مَالَهَا مِنْ عِدَاتِهَا مُسْتَيْحٌ
 وَلَوْ اسْتَجْمَعَتْ طُغَاةُ الْأَنَامِ
 قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ
 سَيْفُ الْمُحْتَجِّ عِنْدَ الْخِصَامِ
 قَالَ أَشْيَاخُنَا هِيَ الْبِلْدُ الْجَا
 مَعُ فِيهِ تَكُونُ دَارُ الْإِمَامِ
 فَهِيَ الْآنَ لَا عَالَةَ بَغْدَادِ
 مَحَلُّ الْإِمَامِ دَارُ السَّلَامِ
 فَلَمَّاذَا الْقُلُوبُ فِيهَا ارْتِيَاعٌ
 وَهُوَ أَؤْفَى الْوَرَى بِعَقْدِ ذِمَامِ
 وَأَرَى الرَّعْبَ بَعْدَ هَذَا عِقَابَا
 هُوَ عَقْبَى كَسْبِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ
 قَسَمًا بِسَالِمِ الْهَيْمَنِ الْبَرِّ لَوْلَا
 وَغَدُ صِدْقِ الْوَحْيِ لَا الْإِلَهَامِ
 لَمْ أَكُنْ ارْتَجِي لِأَكْثَرِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ خَيْرًا لَجْهَلِهِمْ وَالتَّعَامِي
 فَرَّطُوا فِي الصَّلَاةِ حَتَّى أَضَاعُوا
 وَقْتَهَا وَالزَّكَاةَ فِي كُلِّ عَامِ
 وَفَشَا فِيهِمُ الْفُسُوقُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ
 بَعْدَ الرِّبَا وَكَسْبِ الْحَرَامِ
 شَاعَ فِيهِمْ سَبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَوْلِ
 بِخُلُقِ الْقُرْآنِ ذِي الْأَحْكَامِ

كذبوا بالقضاء والقدر المحتوم
 من ذي الجلال والإكرام
 وافتروا في الصفات زوراً بتعطيل
 لما صحَّ عن ثقات كرام
 وأذاعوا بالاعتزال وبالإرجاء
 جاءوا واستحسنوا قبيح الأنام
 ينس المتقي لهم نجاة
 عند إصرارهم على الإجرام

وبعد ذلك هناك العديد من نماذج الصرصي في تصويره لحاله ،
 وحال أمته ، وفي مدائحه النبوية التي لم يقل مثلها شاعر من الأندلس .

شاعر من الأندلس :

أما الشاعر الأخير الذي لا بد أن نذكره ، أو نلم به كمثال للتأثير
 الإسلامي الخالص ، فهو شاعر من الأندلس .
 إنه إبراهيم بن مسعود التُّجِيبِي ، وكنيته ، أبو إسحاق ولقبه
 الألبيري .

وقد ترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك كما ترجم له ابن الأبار
 في كتابه «تكملة الصلة» وكانت وفاته قريباً من سنة تسع وخمسين وأربع
 مائة وقد نشر ديوانه المستشرق الأسباني «غريث غومث» ثم أعاد نشره
 الدكتور «محمد رضوان الداية» عام ست وتسعين وثلاثمائة وألف ، ورجَّح
 الدكتور أن هذا الديوان لا يمثل شعر أبي إسحاق كله بل مختارات منه .
 ويقول المستشرق الأسباني في دراسته لأبي إسحاق الألبيري تنتهض

شهرة هذا الشاعر على أعماله الزهدية خاصة . لكن شهرته بين الأوروبيين تعود في المقام الأول إلى قصيدته الشعرية الشهيرة التي توجه بها إلى بربر صنهاجة يحرضهم فيها على اليهودي «يوسف بن النُّغْرَة» وزير الملك «باديس» وهي القصيدة رقم خمسة وعشرين في الديوان .

والحق أن القصيدة تستحق ماحظيت به من شهرة . ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشراً في التاريخ السياسي لأمة من الأمم فكهربت العزائم ، ودفعت بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق وشحذت السيوف للقتل ، كالدور الذي لعبته هذه القصيدة .

يشير هذا المستشرق الأسباني إلى الواقعة التي ثار فيها المسلمون على اليهود واحتكارهم في غرناطة في التاسع من صفر عام تسع وخمسين وأربعمائة الموافق للثلاثين من ديسمبر عام ست وستين وألف من الميلاد ، ويواصل حديثه قائلاً :

«لم يحدث أبداً أن كان البُغض ذا بصيرة ، ولا الشراسة أكثر فطنة ، كما حدث في هذا اليوم . ومن المثير حقاً أن نرى في قرن واحد الشعر غارقاً في الصناعة والشعراء مولعين بنظم النجوم والتوهان في الحداثق . :

لكن هذا الشيخ لا يهدأ ، إنه برعم وفي لدم عربي . . لم يستطع أبو إسحاق أن يهاجم باديس مباشرة ، ولا يستطيع أيضاً أن يحرك أداة أخرى غير جنود بربر صنهاجة المتمردين . وهؤلاء ليسوا مهينين للأشعار الرقيقة وحظهم من العربية محدود ، وكل قدرتهم ربما أن يفهموا المعنى العام لقصيدة شعرية فحسب ، ومع ذلك فليس مهما : سوف يتعد الشاعر في هذه المناسبة عن الكلمات الغامضة والبحور المعقدة ، وعن الرموز الشعرية وعن الأوصاف والأقوال المكرورة في مصنع

الشعراء ، فليأخذ من العربية أشد الكلمات قوة وصلابة ،
الألفاظ التي يمكن أن يفهمها كل مسلم قادر على قراءة القرآن
وأن يجمعها في تراكيب سهلة غير معقدة ، وأن يرمي بها في مقاطع
عادية مؤثرة كالخطوة العسكرية ، وأن تكون في بحر المتقارب» (١)

القصيدة التي أخرجت اليهود من غرناطة :

فما هذه القصيدة التي استحققت تلك العناية من المستشرقين حتى
ليقول عنها هذا المستشرق الأسباني :

«لعل الشعر الأندلسي لم يعرف أبدا البساطة عارية كما عرفها في
هذه القصيدة ، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها يلفها مثل هذا
الإعصار من المشاعر ، لقد اجتاحت أنغامها حية متوهجة أعماق المدينة
مع زفير النيران وحشجة الموتى» (٢)

يقول استورز باديس صاحبُ غرناطة اليهوديَّ الشهير بابن نغرة
وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبواسحاق الإلبيري
قصيدته المشهورة التي منها في إغراء صنهاجة باليهود . . .

وذكر أبياتاً منها . . . وهي قصيدة طويلة فنارت إذ ذاك صنهاجة على
اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل
الأندلس أن الوزير هو الكاتب ، فأراح الله البلاد والعباد ببركة هذا
الشيخ الذي نُور الحق على كلامه باد» (٣) .

(١) مع المتنبي وشعراء الأندلس لغزته غوث ترجمة الدكتور طاهر مكي .

(٢) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٣) نقح الطيب ٤ / ٣٢٢ .

والقصيدة كما وردت في ديوان هذا الشاعر تبلغ سبعة وأربعين بيتاً
بدأها بقوله :

ألا قل لسنهاجة أجمعين بدور الندى وأشد العرين
لقد زلَّ سيدكم زلَّةً أقرَّ بها أعيان الشامتين
نخير كاتبه كافراً ولو شاء كان من المسلمين
فعرَّ اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى فحان الهلاك وما يشعرون
فكم مسلمٍ فاضلٍ قانت لأرذل قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ولكنَّ منا يقوم المعين
فهلاً اقتدى فيهم بالألى من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يستأهلون وردَّهم أسفل السافلين
ولم يستخفوا بأعلامنا ولم يستطيلوا على الصالحين
ثم يخاطب أمير غرناطة قائلاً :

أباديسُ أنت أمرؤ حاذق تصيب بظنك نفسَ اليقين
فكيف اختفت عنك أعيانهم وفي الأرض تُضرب منها القرون
وكيف يتمُّ لك المرتقى إذا كنت تبني وهم يهدمون
وكيف استنمت إلى فاسق وقارنته وهو بثس القرين
فلا تتخذ منهم خادماً وذَّرههم إلى لعنة اللاعنين
فقد ضجعت الأرض من فسقهم وكادت تميد بنا أجمعين !

أما لماذا استحق اليهود في غرناطة نقمة هذا الشاعر المسلم فإنه
يقدم لنا الأسباب المقنعة إذ يقول :

وإننى احتلت بغرناطة فكنت أراهم بها عابثين
 وقد قسّموها وأعمالها فمنهم بكل مكان لعين
 وهم يقبضون جباياتها وهم يخصمون وهم يقضون
 وهم يلبسون رفيع الكسا وأنتم لأوضعها لابسون
 وهم أمناكم على سرّكم وكيف يكون خؤون أمين؟!
 ويأكل غيرهم درهماً فيقضي ويذنون إذ يأكلون
 وقد ناهضوكم إلى ربكم فما تمنعون ولا تبنكون
 وقد لابسوكم بأسحارهم فما تسمعون ولا تبصرون
 وهم يذبحون بأسواقها وأنتم لأطرافها آكلون
 ورخّم قردهم داره وأجرى إليها ندير العيون
 فصارت حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون
 ويضحك منا ومن ديننا فإننا إلى ربنا راجعون

هكذا بلغ التغلغل اليهودي المحتكر مداه في تلك العاصمة
 الإسلامية بسبب تسامح المسلمين ورحمتهم بالمستضعفين . . لكن هؤلاء
 اليهود أساءوا فهم هذا التسامح ، فإذا هم يقبضون على زمام الأسواق
 والمصالح الاقتصادية ، وإذا هم يستهزئون بالإسلام ، حتى اضطر ابن
 حزم رحمه الله إلى تأليف رسالة يرد فيها على مزاعم «ابن النفرلة» هذا
 اليهودي الذي تسنم منصب الوزارة في دولة إسلامية! من هنا وجد
 الاليرى نفسه مطالباً بتغيير هذا المنكر . . وليس له من وسيلة غير قدرته
 الشعرية . . فاختار هذا البحر ذا الإيقاع السريع الذي يشبهه المستشرق
 الأسباني «غرييه غومث» بالخطوات العسكرية واختار قافية النون الساكنة
 لتترك تأثيرها في القلوب والأسماع . . واستنهض العزائم للتحرر من النفوذ

المهيمن للجماعة المسلمة ، فكيف تكون حوائجهم عند يهودي ، وكيف تكون أسرارهم في يده وكيف يعيش المسلمون في غرناطة في ضنك وشدة ، واليهود في دعة ورفاهية . . .

وقد برر ابواسحاق الالبيري دعوته هذه بقولة :

وقد نكسوا عهدنا عندهم فكيف نلام على الناكثين
وكيف تكون لهم ذمة ونحن خمول وهم ظاهرون
ونحن الأذلة من بينهم كأننا أسانأ وهم محسنون
فلا ترض فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون
وراقب إلهك في حربه فحزب الإله هم الغالبون(١)

استنهاض العزائم :

ونستطيع أن نقول إن هذه القصيدة مثل لمهمة الشعر الإسلامي في استنهاض العزائم وتوجيه الأمة إلى درأ الخطر والقيام بالواجب وتلك سمة أساسية من سمات الأدب الإسلامي إذ لا يقر الإسلام ذلك العبث الذي يقوم به المتحللون بحلية الشعر . . الذين يشغلون الناس بمباذهم ورؤاهم المجنونة وتراكيبهم الغريبة . . فهذا هدم وتخريب وإلهاء للناس عن الجِد والاستقامة ورؤية الحقيقة .

ودبوان الالبيري كله شاهد على أنه استخدم موهبته هذه في البناء لا الهدم ، والدعوة إلى الاستقامة والنهي عن الانحراف وقد أبان لنا وعيه بخاصة الشاعر المسلم إذ قال :

لو أنني أدعو الكلام أجابني كإجابة المأسور دعوة أسر

(١) القصيدة ٢١ من ديوانه .

لكن رأيتُ نبينا قد عابه من كل ثرثار وأشدق شاعرٍ

فصمتُ إلا عن ثقي ولربما قذفتُ بحارَ قريحتي بجواهرٍ

ومع هذا الإلتزام بأدب الإسلام الذي أحق المستشرقين الذي تعرضوا لدراسة شعره وحاولوا التهوين من تجربته والتشكيل في صدق مواقفه إلا أن المستشرق الأسباني «غورثيه غومث» يقول : وإنه لجدير أن يحتل مكانة في الصف الأول من الشعراء» (٢) .

الأدب الإسلامي في عصرنا الحديث :

إن موقف الأديب المسلم في عصرنا هذا موقف حرج . . . لأنه محاط بتيارات عنيفة تتجاذبه ، وتوحي إليه أنها طريق الإبداع والعبقرية وتوهمه أن الإلتناء إلى الإسلام يلقيه في ظلمات التخلف والإنقطاع ويحمله إلى واعظ منسحب من الحياة .

وهذه وساوس شيطانية ينبغي أن يبذلها الأديب المسلم ، وأن يرى فيها زيفاً وخداعاً وبعداً عن الحقيقة .

وقد جاء الرد على هؤلاء عملياً في إبداع الشاعر المسلم محمد إقبال الذي كان يرى أن الشعر وسائر الفنون الجميلة لابد أن يمتزج بدم القلب ويستمد حرارته من تحرق الوجدان ، ومن تجربة حقيقة مفعمة بالألم والأمل معاً ولنستمع إليه إذ يقول :

دنياي آلام تذيب حشاشي

لا تمنعوني أن أبتَّ جـروحي

إني سأوقد في القلوب شموعها

وأزيد شعلتها بجذوة روعي (٣)

(٢) مع شعراء الأندلس . (٣) ديوان اقبال . ترجمة الصاوي شعلان ص ١٩٢ .

(٢) مع شعراء الأندلس .

ويقول :

عواصف الخريف في ليل السهاد
علّمت البلبَل — رجيع النّغم
دم الأمانى فيه للشعر مداد
وفي خُطوب الدهر أشعار الحِكم
وقد كان إقبال يهدف إلى اصطناع لغة تفهمها قلوب أمته ، وتعيها
أرواحهم وتصل من خلالها إليهم رسالة قلبه وخلاصة تجربته وذلك إذ
يقول :

أنثرتُ بنّغمتي كلّ النوادي
ومن شرّ الحياة جعلتُ زادي
أضياء القلب من عقلي ولكن
جعلت عيَار عقلي في فؤادي (١)
وكان يرى أن العناصر في الكون تتجاوب مع الشاعر وتلبي نداءه
إذا تحدث إليها بلغة الإيثار :

ندائك في العناصر مستجاب
إذا دوى بصوت من بلال
بل يتجاوز تأثير هذا الشعر الإسلامي الكون كله ويصل إلى ما فوقه
مادام روح الإيمان يشرى فيه :

كلامُ الروح للأرواح يشرى
وتدركه القلوب بلا عناء
هتفتُ به فطار بلا جناح
وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابي ولكن
جرت في لفظه لغة السماء (٢)

(١) محمد إقبال رسالة المشرق ترجمة دكتور عبدالوهاب عزام رباعية رقم ١٣٩ .

(٢) من قصيدة شكوى وجواب لمحمد إقبال ترجمة الصاوي شعلان .

* وفي العربية أيضاً نجد في عصرنا الحاضر نغمات عذاباً لشعراء أحسوا بروح الإيمان تسري في قلوبهم . . كالشعر الإسلامي لأحمد شوقي الذي اتسع ومايزال يتسع لدراسات تحليلية عديدة . . وشعر «أحمد محرم، ومحمود حسن اسماعيل» . . وكثيرين من الشعراء الذين لم ينالوا حظاً من الشهرة والذيرع بفعل التعقيم الإسلامي الذي تمارسه الصحف والمجلات في كثير من أقطارنا العربية . فيفسحون المجال لعبث الكلمات المسماة شعراً ، وما هي من الشعر في شيء ، ويضيقون بالشعراء الذين يعلنون انتماءهم لعقيدة الإسلام واخلاصهم لمبادئه وحرصهم على أمتهم ومعايشتهم لقضاياها . .

وإذا كان لنا ان نلخص خصائص الأدب الإسلامي عامة والشعر خاصة فإننا نستطيع إيجازها فيما يلي :

١- الإلتزام بعقيدة الإسلام والنظر إلى الكون والحياة من خلال منظار الإسلام والتعامل مع الحياة والأحياء بأخلاق الإسلام وآدابه .

٢- الإلتزام بالدفاع عن قضايا الأمة المسلمة والتعبير عن آمالها وآلامها والإحساس بمشاعرها .

٣- النظر إلى الكون نظرة رحمة تستجلي آيات الله وترى آثار قدرته .

٤- التعاطف مع الكائنات الضعيفة كالطير والحيوان والمستضعفين من البشر .

٥- الحفاظ على ذاتية الشاعر والأديب وخصوصيته ونظريته المستقبلية ، وليس في هذا تناقض مع احساسه بالإنتماء إلى الأمة ودفاعه عن قضاياها .

٦- إتاحة الفرصة للأديب للتجديد والإبتكار في صوره ومعانيه

وألفاظه وإيقاعاته ، فليس في الإسلام ما يحد حريته الفنية ولا ما يلزمه بنمط معين في التصوير والتعبير .

فلنتواصل بأن نعيد إلى أدبنا الإسلامي نضارته وإبداعه . . حتى يعود إلى أدبنا العربي وجهه الإسلامي المشرق وعاطفته الكريمة الزاخرة وإيقاعه المطرب الجميل .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
من سمات الأدب الإسلامي.....	٩
دعوة للإنفصال عن العقيدة.....	١١
لأبد من الرجوع إلى ديوان الشعر العربي.....	١٢
«اليوت» والدين!.....	١٣
شاهد منهم.....	١٤
الخرجاني برىء.....	١٧
للإسلام رأيه في الشعر.....	١٩
لا استثناء للشعر.....	٢٢
زعم باطل.....	٢٤
مثلان من المخضرمين.....	٢٤
العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة.....	٢٥
أول قصيدة ترسم صورة لنفسية الحيوان.....	٢٩
ذو الرمة ومشاعر الطيبة.....	٣٢
ارتقاء بالمشاعر نحو الحيوان.....	٣٣
أبيات من الحكمة حميد.....	٣٤
الراجز المسلم : العجاج بن رؤية.....	٣٦
رؤية لتاريخ الإسلام.....	٣٧
سلوك مثالي.....	٣٨

٤٠.....	تأثر بالقرآن
٤١.....	تجربة ذاتية
٤٧.....	شعراء أخلصوا شعرهم للإسلام
٤٩.....	شعر العاطفة العفيفة
٥١.....	سابق لبربري
٥٥.....	موعظة لخليفة
٥٦.....	مقولات خاطئة
٥٨.....	شاعر من بغداد : يحيى الصرصري
٦٠.....	التزام الشاعر المسلم بقضايا الأمة
٦١.....	الواقعية لا تنافي الإبداع
٦٣.....	حين جاء التتار
٦٨.....	شاعر من الأندلس :
٧٠.....	القصيدة التي أخرجت اليهود من غرناطة
٧٣.....	استنهاض العزائم
٧٤.....	الأدب الإسلامي في عصرنا الحديث